العقيدة والبُرهانُ في التاريخ

إعداد

حمدي عبد الرازق

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة ـ تليفون ـ ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة لابد منها:

العقيدة هي ما لا يشك معتقده فيه، وهي الثابت الذى لا يتغير ولا يمكن تحويله، وهي ما أحكم عقده فلا ينفك أو ينحل. والبرهان هو الحجة البينة والدليل الواضح الفاصل الذى لا يمكن ضحده.

وفى عالمنا هذا الكثير من المعتقدات التى نعتقدها ونثق فيها وهذه المعتقدات غير العقيدة الدينية أو الملة فالدين لا يحتاج إلى برهان وإنما إلى الإيمان فقط، أما هذه فتحتاج إلى برهان لها يعززها ويقوى الاعتقاد بها.

ومن هذه المعتقدات: العلوم فى شتى مجالاتها البحثية كالطب والهندسة والكيمياء... إلخ

والتاريخ أحد هذه العلوم التى نعتقد فيها ونركن إلى ما يقدمه لنا فى الكثير من شئون دنيانا إلا أن الطبيعة الخاصة لعلم التاريخ قد جعلته مميزاً بين بقية العلوم، حيث إنه العلم الوحيد الذى يعنى بالماضى ويهتم به وبكل ما يحمله بين صفحاته من أحداث سبق حدوثها بحثها وهو يهتم بكل ما فعل الإنسان أو تعرض له على مدى عمره على الأرض لذا يفضل الكثيرون أن يسموه ويطلقوا عليه «ذاكرة الإنسانية».

ولهذه الطبيعة نجد أن موضوع البحث فى التاريخ غير موجود حقيقى...

بمعنى أن الحدث ذاته قد حدث وانتهى وصار ذكرى وقد يكون أو يتواجد بعض من لهم علاقة بالحدث سواء الفاعلون له أو من وقع عليهم الحدث ولكنه فى كل الأحوال - أى الحدث - قد فنى وإنتهى إلا ما خلفه من آثار مادية كانت أو معنوية.

وفى حين أن كل العلوم الأخرى تمتلك موضوع البحث بين يديها تقلبه كيفما تشاء. وتقوم فيه بشتى وسائل البحث والتجريب أو حتى الافتراض حتى

تحصل على بغيتها إلا أن هذا غير متاح أو ممكن فى البحث التاريخى أو علم التاريخ حيث إنه يقر بما هو كائن بالفعل وليس للباحث أى حق فى تجربة أو فرض شئ فهو بذلك يخرج عن منهج التاريخ ويضعه فى قوالب لا علاقة له بها ذلك أن الحدث إما حدث بالفعل أو لم يحدث وليس هناك ثمة احتمال آخر فإنه وضع فروض ما أو إحتمالات من فكر الباحث تجعله ينظر إلى الماضى بعين الحاضر ويضعه فى المعيار الذي لا علاقة له، فبين الماضى والحاضر الكثير من الاختلافات.

وعلم التاريخ هو علم الحقيقة البينة لذا وجب على الباحث فيه أن يضع كل معلومة تصل إليه موضع الاختبار الشاق حتى يتم التأكد من صحتها ودقتها لترقى إلى مرتبة المعلومة التاريخية.

ولعل أهم ما تم معرفته فى التاريخ - علم التاريخ - معرفة التاريخ القديم للشعوب من أمثال مصر والصين والعراق ... الخ ومثيلاتها من شعوب الحضارات القديمة.

وكان لمعرفة هذه الحقبة الزمنية المبكرة من عمر البشرية وما حدث فيها من أحداث وتطورات لسلوك الإنسان وفكرة الأثر البالغ فى نقص أصول الشعوب ومعرفة كيف كانت وكيف صارت.

تأتى حضارة مصر القديمة كإحدى هذه الحضارات ويراها أغلب المختصون أهم هذه الحضارات على الإطلاق لما اذهلت به العالم من فرط التطور والتقدم الذى نعم به المصرى القديم فى فجر البشرية وفى حين كان أغلب أمثاله فى شتى بقاع الأرض يركن إلى الأرض فلها يقيم بناء أو يغرس غرساً كان هو يبني أهراماً ومعابد وينظم الزراعة والرى ويفتح أبواب الطب والكيمياء له ولغيره.

الحضارة المصرية القديمة كما تدل آثارها مما خلف المصرى القديم هى حضارة علمية يزخر بالعمارة والطب والكيمياء والفلك وغير ذلك من العلوم والتى ما زال الكثير مما قد توصل إليه المصرى القديم لغزاً حتى يومنا هذا طلسماً محيراً أمام علماء القرن الحادى والعشرين لكن ...

لكن الشئ الغريب حقاً برغم هذا كله تظهر حضارة المصرى القديم فى شكل أقاصيص وحكايات لا تتعرض إلى هذه الحياة العلمية فى شئ وفى حين أن الحضارة المصرية لم تخلف أسطورة يتناقلها الناس كالالياذة مثلاً عند الإغريق ظهرت ان كل ما تحويه هذه الجدران والبرديات مجرد حكايات. وعلى عكس الشائع من الاعتقاد فى أن كل هذه الاقاويل هى التاريخ الحقيقى لمصر فى بداية الحياة فإن الاعتقاد الذى تقدمه هذه الصفحات غير هذا وتبرهن على أن كل هذه الحضارة وذاك التاريخ بكامله ما هو إلا ضرب من الدجل والتكهن ولم يكن بحثاً كشفياً فى تاريخ مصر أو حضارتها.

فالاقاويل تتضارب حتى يومنا هذا وهناك الكثير الذي يختلف فيه علماء المصريات فى العالم وتتباين فيه آراؤهم وفى هذه التباينات الكثيرة ملعباً خصباً لم يرد أن يذكر كل هذه الاخبار إلا أننا لا ننظر إلى هذا بل سنتجه مباشرة إلى نقاط الاتفاق التى يجمع الكل على صحتها وصواب أمرها وأعتبرها المختصون ركائز أساسية فى التاريخ المصرى القديم ومنها آلهته المصرى القديم التى عبدها واعتقاده فى البعث والحساب وتتابع الأسرات عليه واخناتون وما إلى ذلك مما يتفق عليه ويراه المختصون يقينا لا شك فيه.

أى أن إنكار هذا التاريخ المزعوم صار عقيدة وما تحويه هذه الصفحات هو البرهان على ذلك.

*** فى فهم اللغـــة**

معرفة اللغة المصرية القديمة والتى استخدمها المصري القديم كان المفتاح الذى فتح الباب عن الحضارة المصرية لتخرج إلى العالم ويعرف كيف كانت حياة هؤلاء الذين أرسوا قواعد أول حضارة عرفتها الإنسانية. ولكن هل تم حقاً معرفة اللغة المصرية القديمة وفك رموزها؟؟

للإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى معرفة نقاط عدة عن ظروف وأحوال البحث الذى قام به « شان ليون » وما هى الفرصة المتاحة لإدراك الصواب طبقاً لما اتبعه فى بحثه.

وقبل هذا لزاماً علينا التعرف على اللغة من حيث المدلول والخصائص التى تتميز بها كعلم له قواعده الخاصة والتعرف كذلك على قواعد الترجمة والنقل بين اللغات .

ولأن اللغات كثيرة وعديدة ومتباينة فى قواعدها ستكون الإشارة إلى خصائص عامة فى كل لغات الأرض قديمها وحديثها .

* **اللغـة**

فى المعجم اللغة هى : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » .

ويقال عنها مجازاً « لسان » فإن قلنا « لسان العرب » فإننا نعنى اللغة العربية ولسان الإغريق يدل على الإغريقية . . .

وكلمة « أصوات » هذه التى جاءت فى تعريف اللغة يوضح لنا أن اللغة نتاج مجموع من الأصوات تتجمع وتشكل الكلمات والتى بدورها تصنع الجمل والعبارات، واللغة أصيلة فى التكوين الإنسانى فالإنسان منذ خلق متكلم ولم يكن يوماً بلا كلام أى لغة فالكلام وسيلة التعبير لديه سواء فى التواصل مع أمثاله أو فى مناجاته لربه .

وذكر كلمة « قوم » يدل أن اللغة لابد أن تكون فى جماعة مجتمعة فلا يمكن لأى إنسان منفرداً أن يتحدث لغة أو يتكلم بها دون مشاركة غيره له وكذلك تدل هذه الكلمة أن هذا الجمع يتصف بالقومية أى مجتمع يتشارك فى المسكن والمأكل والحياة بكل أشكالها .

وعادة ما يطلق على اللغة اسم مشتق من الذين يتحدثون بها ويتكلمونها فاللغة العربية لغة العرب والهندية لغة الهنود . . إلخ . والعكس لا يصح فلا يجوز أن نطلق اسماً مشتقا من اللغة على هذا الجمع أو القوم .

وهذه اللغة الأصيلة فى التكوين الإنسانى أثارت فى الإنسان الرغبة فى جعل هذه الأصوات فى أشكال وصور تعبر عنها يحتفظ بها ويتناقلها ويدون من

خلالها ما يريد وما يخشى عليه من النسيان وهكذا ظهرت الكتابة والتى تتابعت مراحل تكوينها من الأشكال والرموز إلى الأبجدية والتي استهلكت من عمر البشرية الكثير حتى تصل إلى ما هي عليه الآن.

لذا لزم أن نوضح أن اللغة هى فقط الصوت وليست الشكل الأبجدى بمعنى أنها هى اللفظ المنطوق المسموع لا الشكل المرسوم وهذا لكون الشكل الأبجدى أو الرمزى ما هو إلا تابع للأصل المنطوق «الصوت».

ومثالاً لذلك فإن العربى الذى يتحدث العربية يقرأ «أنا» فإنه وإن لم يتلفظ بها يسمع هذا الصوت داخله يقول «أنا» وكذلك الانجليزى يقرأ «I» فيسمع نفس الصوت يقول «آى» والتى تعنى أنا بالعربية والفرنسى يقرأ «Se» فيسمع داخله «جى» وهكذا فى سائر الألسن واللغات.

أما فى حال ما أن يكون من يتكلم أساساً لغة ما ويقرأ غيرها فمثلاً العربى عندما يتعامل مع اللغات الأخرى يرجع إلى لغته الأصلية. فعند قراءته «I» فإن الصوت يقول «أنا» بمعنى إن اللغة الأصلية لديه هى المعيار لإدراك المعنى والوضع يكون معكوساً للذى يتكلم الانجليزية أصلا.

فالتكوين الأساسي للغة هو الكلمة وليست الحرف الأبجدى فالحروف الأبجدية ظهرت ضمن أطوار الكتابة وذلك بجعل لكل صوت صورة وشكلاً خاص به أما الكلمة فهى قائمة ما دام الانسان فالانسان منذ أن خلق وهو يتكلم ويتحدث دون أن يعرف الحرف الأبجدى ولكن ابتدع ذلك وصنع تلك الحروف فقد قام بتقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية واتخذ لكل صوت منها شكلا خاصًا به واسم له.

مثال ذلك «أوب وجـ ود» «ABCD» وسمى هذه الحروف (الف – باء – جيم – دال) ايه بى سى اتش دى وطبعاً كل حرف يعبر عن صوت يدل عليه فى القراءة ويعبر عنه فى الكتابة.

وهذا الشكل الأبجدى ليس القاعدة لأن اللفظ الصوتى هو القاعدة وهذا

يحدث فى تناقل وترجمة الأسماء مثل « اسوان Aswan » سيد « Said » بمعنى أنه يمكن استخدام أى أبجديه للتعبير عن اللغة وإدراك المعنى منها لكن العكس لا يمكن حدوثه بمعني انه لا يجوز قراءة كلمة مكتوبه بلغة ما إلا بذات اللفظ فى هذه اللغة فكلمة « Night » لا يجوز نطقها « ليل »، أو « Soin » « سواء » ولو أن المعنى واحد ذلك لكون الرسم أو الكتابة مقصود به صوت واحد وهو « ثابت » ولو يعنى المعنى المراد فهو مختص بالصوت فقط وعلى التفضيل يمكننا كتابة « ليل » باستخدام البجدية الانجليزية « Lail » أو باستخدام أى ابجديه نريد أو حتى استحداث أبجدية أخرى لكن الشئ الغير مسموح به هو استبدال الألفاظ لأنه إذا ما حدث ذلك يترتب عليه استبدال اللغة ككل.

وهكذا نرى أن اللغة هى الصوت أو الألفاظ الصوتيه فقط أما الكتابة فهى التعبير عن هذه الأصوات والألفاظ ليس إلا.

*** قواعد اللغة وأصولها وكيفية النقل منها وإليها.**

اللغة هى وسيلة الاتصال الأولى بين البشر جميعهم وهي وسيلة التعبير عن كل ما يدور بخلد الانسان لذا يلزمها أن تحكم بقانون ونظام يحددان أسلوب التكلم بهما وكذلك إطار لا تخرج عنه ولا تحيد حتى تصبح بذلك وسيلة جيدة للتعبير والاتصال وهذا القانون أو النظام هو الذى يتلقاه الانسان فى مستهل عمره وغرة حياته يتلقاه من حوله بمن يعيشون معه وتدريجياً وشيئا فشيئاً حتى يتقن المرء هذه اللغة وبدون أن يشعر بذلك. ولكل لغة قواعدها الخاصة التى تحكمها وتشكلها وتتميز بها حتي وإن تشابهت هذه القواعد أو تلك فى أحد اللغات الأخرى.

وهذه القواعد كثيرة ومتعددة تشمل كل ما يتعلق باللغة من قواعد الجمع والإفراد والتذكير والتأنيث والضمائر حتى ترتب الجملة ووضع الفعل والفاعل والمفعول فيها كل هذا أو أكثر له من القواعد التي تحدد أسلوب وطريقة التعامل مع أى منها.

ففى العربية يجمع الاسم بإضافة « ون » للمذكر و « ات » للمؤنث أما فى الانجليزيه أو الفرنسيه وعموم اللغات اللاتينية فتكون الجمع مثلا بإضافة « S » وتبدأ الجملة فى العربية إما بفعل وتصير فعليه أو باسم وتكون اسميه اما فى اللغات الأخرى وعلى سبيل المثال اللاتينية مثلا فهى اسمية دائما والضمائر فى العربية تكون إما موصولة أو منفصلة ولكنها ودائما منفصلة فى لغات اللسان اللاتينى عموماً .

فمثلاً جملة « قتل احمد سيد » يصعب ترجمتها بهذا الشكل دون ضبط والضبط هو وضع العلامات الصوتيه فوق الأحرف والتى توجد فى العربيه ولا توجد فى الانجليزيه مثلا فهذه الجمله يمكن أن تترجم :

Ahmed Said hasbeen » & « Said Kiued Ahmed » « &Ahmed Kiued Said

ولكن بضبطها هكذا « قتل احمد سيد » تصبح الترجمة الأولى صحيحة أما لو ضبطت هكذا « قتل احمد سيد » تصبح الثانية هى الصحيحة ولو ضبطت بهذا الشكل « قتل سيد أحمد » . تكون الأخيرة هى الصحيحه وهذا شئ هين ضمن الكثير مما يعيق عمليات الترجمة بين اللغات .

وهذا ومما يصنع بعض اللبس جملة مثل « يذهب سيد إلى البيت » فترجمها بالانجليزيه« Said goes to the hume » وهذه الترجمه إذا تعرض لها ممن لا يعرفون قواعد ترتيب الجملة سواء فى العربية أو الانجليزية فإنه ولا محال سيظهر ان « يذهب Said » « وسيد goes » فالذى لا يعرف الانجليزية يظن أن « يذهب » Said فعل مضارع و « goes » إسم علم وهكذا وهذا هو أحد أشكال اللبس الذى يقع فيه من لا يدرك بعض أو أحد القواعد فى اللغة .

وهذه بعض أشكال الأخطاء التى تحدث نتيجه عدم ادراك وفهم قواعد اللغة سواء المنقول منها أو إليها ولو استعرضنا بقية أشكال الأخطاء التى قد تحدث فلن ينتهى بنا الأمر فإن لكل لغه أغوارها الرقيقة .

والشئ الثابت ان اللغه بناء متكامل ولا يجوز العبث به أو إتاحة فرصة للافتراض فيها والظن في البحث فى أى من قواعدها فإن اختلت أى قاعدة اختلت اللغة بكاملها .

الأصوات المسموحة:

والمقصود بالأصوات المسموحَه هنا هى جملة الاصوات التى يستخدمها المتحدث بلغة ما فاللغة العربية مثلاً تزيد عن جملة الأصوات المستخدمة فى كل لغات الأرض قديمها وحديثها بصوت « ض » وتفتقر لغة مثل الانجليزيه إلى صوت مثل « خ » « ح » « ع » « ض » « ق » وأصوات اخرى وبناء على هذا فإن اى كلمه تحتوى على أى من هذه الأصوات لا يمكن أن تنسبها إلى اللغة الانجليزية.

والعبرة هنا ليس بالحرف ولكن بالصوت فإن اللغة الصينية يبلغ عدد الأحرف فيها نحو ثلاثة آلاف حرف ولكنها تقل فى عدد الأصوات عن اللغة العربيه ذلك لأن هناك صوت يمكن أن يعبر عنه باكثر من حرف فى صوت « ى » يقابله فى الانجليزيه « I أو y » وصوت و(يقابله (O . U . W) وهكذا.

وكذلك فرغم عدم وجود حرف يعبر صراحة عن صوت ال « ش » فى الانجليزيه الا إنه صوت موجود ومستخدم وتم صنع تكوين من حرفين له وقت ظهورهما ندرك أنه هو المقصود « Ch . Sh » وكذلك صوت « ث » فهو يظهر بإجتماع (Th) وهو أيضاً حدوث أصل فى ذات اللغه وهذا التزاوج والاجتماع بين الحرفين هو المعبر عن الصوت شرط أن يكون على ذات الترتيب وإن إختل هذا الترتيب لا يكون معبراً عن ذلك الصوت ويعود كل حرف إلى التعبير عن الصوت الأصلى الذى يعبر عنه منفرداً، وكما يختلط الناس تختلط الألسن واللغات ولكن هذا الاختلاط عادةَ لا يكون متعادلا أو متكافئا ذلك لأن باللغات تتباين الأصوات ومثال ذلك أن الأصوات (ق، ع، ح، خ) توجد فى العربية ولا توجد فى الانجليزية لذا عند حدوث إتصال بين لسان عربى وآخر انجليزى فإن الثانى يبحث فى الأصوات عنده فى لغته مما يكون عوضاً عن تلك التى فى العربيه والتي لا يستطيع نطقها والذى نبحث عنه هو ما يجارى هذا الصوت فاقرب ما يكون وليس الحرف فالصوت « ع » يمكن أن يظهر على أنه « Aأو E أو O» حسب حالاته كما فى « عماد يصبح E » وعلى يصبح A « وعثمان يصبح O» وهكذا

يتضح أن التعرف يحدث مع الصوت وليس الحرف وعلى هذا النمط يتم التعامل مع بقية الأصوات فبدلاً من « ق » يوضع « K » مثل Kassem وعن « ح » أو « H » مثل حسن Hassan .

(خ) Kh مثل خالد « Khaled » وهكذا . . .

وهذه العملية كانت محاولة لوضع أصوات من ذات اللغة للاستعاضة عن تلك التى ليست فيها ومع هذا فإن الأصوات المسموحة فى اللغه لم تزد أى أنه لم نحصل على الصنوت الأصلى .

ومغزى ذلك أن اللغة سجينة أصواتها ومهما حدث من احتكاك وتفاعل فإن اللغه ستظل فى مدار هذه الأصوات ولم تخرج عنها ولن تخرج بمعنى أن هذه الأصوات هي التي تتحكم فى تكوين وتشكيل الالفاظ والكلمات في اللغة ولابد من إدراك هذه الأصوات ومعرفتها معرفه تامة لكى يحدث إضافة . صوت ليس فيها أو نسيان صوت أصيل فيها .

* **الصياغه الخاصة .**

وهى عمليه لصياغه بعض الأسماء العلم مثل أسماء الدول أو المدن أو أسماء الأشخاص وذلك بصياغة خاصة لا تركن إلى أصول النقل أو الترجمة مثال « المانيا » « german » . . . وهكذا وفى حالات يكون أسلوب الصياغة مختلفا تماماً عن الاسم الأصلى مثل « مصر » « Egypt » واليونان « gceece » ويحدث هذا أيضاً فى بعض الأسماء الخاصه باشخاص مثل « إبراهيم – يوسف – موسى – يعقوب – عيسى » .

هذه بعض أسماء لأنبياء الله عليهم السلام أجمعين وهذه أسماؤهم فى اللغةَ العربية ولكن هذه الاسماء تختلف فى العربيه فتحيرها على هذا الشكل « ابراهام – جوزيف » – موش – اسرائيل – يسوع » وهنا يظهر إختلاف بسيط فى البعض مثل « ابراهيم – ابراهام » وأيضا اختلاف جذرى بين البعض مثل « يعقوب – إسرائيل » وعلى هذا فإن اللغة العربية لا تعرف تلك الأسماء العبرانية ولا

تعترف بها والوضع نفسه فى العبرية . مع أن المعنى بذاك الاسم أو هذا هو نفس الشخص .

ولو أهملنا النطق الصوتى لأحد هذه الأسماء فى إحدى اللغتين وأجرينا مقابله خطيه بين هذه وتلك مع إغفال النطق فى إحداهما والاكتفاء بأسلوب النطق فى الأخرى فإننا نجد أن ى = أ، ع = س، ق= ر ، و= أ، ب= ى وبهذا يتبقى لدينا حرف « ل » .

ومما لا شك فيه أن ما حدث كان وبالطبع خطأ ولكن عمدنا لإجراء هذه المقابلة بالأحرف العربية لنوضح أن إهمال الصوت من اللفظ والاكتفاء بالرسم فقط لا يمكن أن يمنعنا من الوقوع فى الخطأ بل أن الخطأ هو القاعدة والصواب هو الاستثناء فى هذه الحالة .

مما سبق يتضح لنا عدة نقاط هامة :

أو لها : أن اللغة أصوات فقط وليست رسماً فهى أصوات مسموعة منطوقة وليست أشكالاً وحروفا .

ثانيها : لكل لغةَ قواعدها الخاصة والتى تشكل وتحدد وتحكم كل ما يتعلق باللغة والتي يجب أن تدركها قبل إجراء أى تعامل معها سواء فى النقل أو الترجمةَ .

ثالثها : تشكل اللغة من جملة أصوات هى التى تحدد ألفاظها وعادة ما يغيب عن اللغة بعض الأصوات عن غيرها أو تزيد فى البعض لذا لزم معرفة جمله أصوات اللغة التى تشكل ألفاظها قبل التلفظ بها .

رابعها : بعض الكلمات وخاصة بعض أسماء العلم عادة ما يكون لها صياغة خاصة بها مخالفة غير لغتها الأصلية لا تتيح اللفظ الأصلى . ولا تعتمد على أصول الترجمة ولكن هى أسماء تناقلتها الألسن وتحورت إلى أن استقرت على هذا الشكل .

وهكذا يتضح لنا أن قبل التعامل مع أى لغه وخاصه عند قراءة نصوص

ومحظوظات مكتوبة بها لابد من إدراك هذه اللغة بقواعدها وأصواتها وأسلوب الكتابة وكل خصائص هذه اللغة الكبير منها والصغير.

* **الحجر والرجل**

الحجر هنا هو أحد أشهر الأحجار فى العالم وهو حجر رشيد، والرجل هو أستاذ التاريخ شامبليون والذى استطاع فك طلاسم وكل رموز الحجر وقبل كل شئ لابد من التعرف على الحجر وأيضا على الرجل.

* **حجر رشيد**

هذا الحجر عبارة عن كتلة من البازلت الأسود ارتفاعه ١١٤سم وعرضه٧٩٥سم ويبلغ سمكه ٢٧٫٥سم وقد تم العثور عليه بواسطة الضابط (بو شارد) أحد ضباط نابليون فى الحملة الفرنسية على مصر وقد وجد الضابط الحجر وبه بعض التهشم فى جوانبه وسقط عنه جزء من تحته وعلى الحجر وجدت نقوش مختلفه تتباين فى الكم والشكل وعرف من هذه النقوش الجزء الأسفل الذى يحوى كتابات إغريقية ثم عرف بعد ذلك بقية ما فيه فالجزء الأعلى والأوسط كتب باللغة المصرية القديمة ولكن بخطين مختلفين وأصبح الحجر على هذا الشكل:

الجزء العلوى وقد كتب بالخط الهيروغليفى وتبقى لنا ١٤ سطرا.

الجزء الأوسط وهو بالخط الديموطيقى ويتكون من ٣٢ سطرا.

الجزء الأخير السفلى ومكتوب بالخط الإغريقى وفيه ٥٤ سطرا.

استولى الانجليز على الحجر عام ١٨٠١م وجعلوه فى المتحف البريطانى كإحدى تحفه الثمينة وأصبح الحجر الشهير مصدرا لجذب الكثير من العامة والعلماء للقيام بمحاولات لفهم ما فيه وفحوى ما نقش على حجر رشيد هو قرار من كهنة مصر بتكريم الملك بطليموس الخامس والذى عرف باللغة المصرية القديمة د (ايفانيس) وقد تم سرد هذا النص بواسطة الخطوط الثلاث.

ولم يكن شامبليون أول من حاول فهم وحل هذه الرموز ولكن سبقه آخرون ومن اشهرهم العالم الانجليزى « توماس يانج » وهو فيزيائى أجرى بعض المحاولات ويقال إنه توصل إلى شئ ولكن سرعان ما عزف عن إكمال رحلة البحث فى هذا الحجر.

وأيضاً كان هناك الدبلوماسى السويدى « اكرابلد » الذي أخذ خطه فى البحث ولكن سرعان ما ترك الامر وعاد إلى عمله دون أن يحدث تقدما. واللغة المصرية القديمة مرت بأطوار مختلفة على مر تاريخها الطويل وعلى أساس هذه المراحل التى شكلت تاريخ الحياة فى مصر تأثرت أيضاً لغتهم وكتاباتهم وظهرت فى مصر أربعة أشكال للكتابةَ وكان لكل شكل من هذه الأشكال خصائصه ومميزاته الخاصة وهذه الأشكال والخطوط هى :

*** الهيروغليفية.**

وهو اسم يونانى يعنى « النقش المقدس » وهو بداية ظهور الكتابة فقد كان يهتم بتصوير ما يمكن نقله وفهمه من البيئه المحيطة ثم تطور الأمر إلى اتخاذ العلاقات الصوتيه وذلك باتخاذ رموز وإشارات البعض منها يعطى صوتا واحدا وآخر يعبر عن صورتين ومما يعطى كلمة كاملةَ.

*** الهيراطيقى.**

وهو أيضا اسم يونانى يعنى « الكهنوتى » وقد استخدمه الكهنة لصعوبة استخدام الهيروغليفى وعدم كفايته لشتى شئونهم وقد اقتصر عليهم فلم يستخدمه العامة فى شئونهم.

*** الديموطيقى.**

لفظ يونانى أيضاً يعنى « الشعبى » وتبعاً لاسمه فهو الخط الذى استخدمه عامه الشعب فى شتى شئون الحياة وهو خط لا يكاد يظهر فيه الأصل الهيروغليفى من فرط بساطته ويسره.

* القبطى.

بالطبع هى كلمة يونانية تعنى « المصرى » وهذا الخط الذي استخدمه المصريون بعد دخولهم المسيحية وتم استخدامه لرغبة المصريين المسيحيين فى التخلص من آثار وبقايا الوثنيه واستخدموا فيه الخط اليونانى وزادوا عليها حروفا لم تكن موجودة فى اللغة اليونانيةَ وقد اقتصر وانحسر هذا الخط على الكنائس والأديرة.

هذه هى جملة ما أجمع عليه العلماء فى شان اللغة المصرية القديمة بصورة مختصرة نوضح فيها شيئا ولو بسيطا عن هذه اللغة. طبقا لما ذكره المختصون فى دراسة حضاره تلك البلد العظيمه حضارةَ مصر القديمة.

* شامبليون.

شامبليون أو سان فرانسو شامبليون هو اسم لأشهر الذين قاموا بدراسات حول تاريخ مصر القديم ذلك لأنه هو الذى قام بوضع المقومات الأساسية لدراسة اللغة العربية القديمة والتى ظلت قبل شامبليون مجرد رسوم ونقوش لا يفهم منها شئ ولكن بعد إنجازه الكبير أصبحت الحضارة المصرية كلها كتابا مفتوحا أمام العالم.

هذا الرجل الذى كان يعمل وقتئذ أستاذاً للتاريخ فى جامعة جبرينويل لكن أهم ما كان يتميز به شامبليون هو قدرته على تعلم اللغات فقد استطاع أن يتقن العربية والعبرية فى سن مبكرة وتعلم أيضاً القبطية والسنسكريتية والفارسية وكذلك اللاتينية والإغريقية وهو بذلك قد أدرك أشهر اللغات وأكثرها شيوعاً فى العالم سواء القديم أو الحديث وهكذا فقد استمر شامبليون فى محاولات فك الطلاسم وحل الرموز من حجر رشيد ما يقرب من عشر سنوات وقد ذكر أنه استطاع أن يستخرج المقاطع الصوتية التى يدل بعضها على صوت واحد والبعض الآخر يعطى أكثر من صوت وأيضاً هناك ما يدل ويعطى كلمة محددة ثم تابع بعده الكثيرون البحث والدراسة حتى تم العمل.

وقام شامبليون خلال سنوات عمله العشرفى بحثه للحجر وما يحويه بمحاولات كثيرة واستخدم كل ما تعلم من أساليب الاستدلال والاستنباط وغيرها إلى أن وجد ضالته فى طريقة جديدة استحدثها هو لتكون مصدرا لكل ما توصل إليه من خلال هذه الطريقه فقد توصل إلى استخراج الأصوات وإكتشاف الأسماء والألفاظ وتحديد هوية كل شكل ورمز وهذه الطريقة هى طريقة المقابلات الخطية . . .

*** طريقة المقابلات الخطية .**

هذه الطريقة التى ابتكرها شامبليون واستخدمها فى محاولاته لفك طلاسم حجر رشيد هى عملية إحراء مناظره أو مقابلة بين النصوص التى تنص فى المعنى والمدلول ولكنها تختلف فى اللغة التى كتب بها كل منها .

مثال ذلك« Tom » « توم » فعند إجراء مقابلة أو مناظرة بين الاسمين نجد أن « T=ت O=و M=م وبهذه الطريقةَ يتمكن لدينا استخراج أصوات الحروف بحيث أن تدرك الصوت الذى يعبر عنه الحرف أو الرسم أو الرمز ولكن هذه الطريقة إن أردنا الاعتماد عليها فى الاستدلال على أصوات الحروف يلزم أن يتوافر لدينا عدة ثوابت لا تعبر عن أى منها .

١ - أن يكون لدينا علم مسبق بأسلوب الكتابة .

كأن تعرف ما إذا كانت هذه اللغه تكتب من اليمين إلى اليسار أم العكس أو من أعلى إلى أسفل أم العكس والجهل بهذا فى إجراء المقابلة يقبل لحقائق وعليه نجد ان Tom - توم M =ت O=و T=م

وهذا خطأ بالغ .

٢ - قواعد الترتيب فى الجملة والتكوين فيها .

فمعرفة مواقع الفعل والفاعل والصفة والضمائر . . . إلخ في الجملة وبين بعضها البعض يحدد لنا أى هذه الكلمات يقابل التى ندركها من النص الذى نجرى التعامل معه ففى جملة « الأب الطيب أسعد أسرته » .

«The good father did make his famly happy»

فى هذه الجملة لا يجوز إجراء مقابلة بين أى من كلماتها ففى الأولى سبق الموصوف الصفه وفى الثانيه سبقت الصفه الموصوف وأيضاً أداة التعريف ظهرت متصلة بالموصوف فى الأولى أما فى الجملة الثانية فقد ظهرت مستقلة وكذلك الضمير وأيضاً لم تتساوى عدد الكلمات فى الجملتين وإجراء المقابلة إزاء ذلك ينتهى ولا يصل بنا إلى شئ.

٣ – معرفة الأصوات المستخرجة فى اللغة.

وهذه الأصوات هى التى تشكل وتكون الألفاظ والكلمات اللغه وعدم إدراكنا لهذا قد يحدث أن تحوى اللغة ما ليس منها مثل كلمة «على» «Aly» فصوت الحرف «ع» لا وجود له فى اللغه الانجليزيه وبإجراء المقابله الخطيه سيظهر الصوت فى اللغه مع عدم وجوده فيها أساساً والعكس فإن «A» هو بديل للصوت «ع» لكن لا يعبر يقوم بالتعبير عنه وبالمقابله نجد أن ع = A «أ» أى حذفنا صوتا من أصوات اللغة.

٤ – معرفة وإدراك الصياغة الخاصة:

بالصياغة الخاصة التى تحدث لبعض الأسماء لا يمكن ان نتعامل معها كتعاملنا مع بقية الكلمات ذلك لعدم إتباعها لأى من قواعد النقل والترجمه فلابد أن يدرك الباحث ذلك فمثلاً كلمة «EGYPT» هذه تعنى «مصر» ولكى لا تخرج الينا بكلمه غريبة «إيجيبت» لا معنى لها فى اللغة التى نبحث فيها.

وأتساءل هنا ... هل كان لشامبليون هذا أى من هذه الثوابت؟ الحقيقه ان شامبليون لم يكن يملك من أمر لغه المصرى القديم شيئا فهذه اللغة لم يبق منها شئ فقد انتهت ولم يبق من يتحدثها على بساط تلك المعموره ولكن كل ما تبقى هو بعض الرسوم والرموز التى تكسو المعابد وعلى البرديات.

إن الأمر الطبيعى هو تعلم اللغة من أهلها ولكن هنا فإن الناظر بجد أن أهل اللغه قد فقدوها ومنذ زمن طويل وبعيد فاصبح أهلها غرباء عنها لذا فقد عمد شامبليون الى الاعتماد على ما خطته الأيادى ونقشته على الجدران وأصبح كمن اشتد به الظمأ فراح يطلب شرب الماء من البحر فكلما شرب اشتد ظمؤه أكثر فأكثر ولم يبلغ الارتواء أبداً والذى يؤكد ان شامبليون أو أى من الذين خلفوه لا يستطيعون إدراك شئ من شأن هذه اللغه أن هناك ما قد تم إهماله فى النص الرئيسى لبحث شامبليون وهو « حجر رشيد » .

والنص المنقوش على حجر رشيد يشتمل على قرار الكهنة المصريين بتكريم الملك « بطليموس الخامس » وهذا الملك عرف فى المصرية باسم « إيبفانيس » وهنا يجب علينا الوقوف أمام سؤال هام .

هل كان شامبليون يعلم ذلك الاسم من قبل؟

وهل عرفه شامبليون بعد بحثه أم لا؟

وهنا نستعرض كل الإجابات الممكنة لهذا السؤال .

الاجابة الأولى : هى نعم كان يعلم هذا الاسم وهنا يكون أن اللغة معروفة من قبل وهناك من يتحدث بها ومنه عرف شامبليون هذا الاسم فلا مجال إذن للبحث الطويل وليس عليه أن يجهد نفسه فى محاولات استمرت ما يقرب من عشر سنوات لمعرفة ما هو معروف من قبل وهذا بالطبع مخالف للواقع فاللغة المصرية القديمة لم تكن مستخدمه أو معروف عنها شيئاً آنذاك وعليه فإن هذه الإجابة خليقة بالرفض ولا يمكن تقبلها بأى حال .

الإجابة الثانية : إن شامبليون لم يكن يعلم هذا الاسم ولم يعلم قط سواء قبل هذا البحث أو بعده وبهذا يصبح كل ما قام بادعائه اكتشاف وفهم وفك هذه الطلاسم وتلك الرموز هو بحق محض افتراء فكيف يكون قد أدرك مفردات هذه النصوص واستطاع استخراج أصوات الحروف منها ولم يستطيع أن يعلم منها إسم العلم مثلا وهو الركيزة الأساسية لأسلوبه وطريقته فى البحث . وهكذا تصبح أيضا هذه الإجابة غير مجدية ولا تفيد فى شئ .

الإجابة الثالثة: ان شامبليون لم يعلم الاسم ولكنه عرفه أثناء بحثه وهذه إجابة لا يمكن تقبلها فهل يعقل ان يكون لهذا الرجل اسم يعرف به على مدى أكثر من عشرين قرناً ثم يأتى من يدعى له اسم آخر لم يعرفه أحد من قبل. ثم على اى اساس اعتمد فى استخراج الأصوات فإن وجب زعمه اعتمد على استخراج الصوت من اسم العلم وإذا كان اسم العلم فى هذه يختلف عنه فى تلك اى ان هذه المقابلات لم تحدث فى الاسم العلم وعليه فهو لم يستخرج الأصوات الخاصة بالرموز عن طريق المقابلة الخطية.

وهكذا نجد ان اى من هذه الاجابات لا تقع أو تشفع لشامبليون ولا تجيب لنا على هذا السؤال بل وتفتح لنا الباب إلى كم هائل من الأسئلة التى لا تعرف كيف نجيب عليها.

ثم إنه عن أى الكلمات كان يبحث بطليموس «ام إيبفانيس» فإنه إن كان يبحث عن بطليموس فإنه لن يجدها فهذه الكلمة لا وجود لها فى النص المصرى وإن كان يبحث عن ايبفانيس فمن أين له وكيف حصل عليه.

إن الأمر كله غريب ويدعو لإعادة التفكير مرات ومرات والنظر فى كل ما يتعلق بهذا الأمر. فالذى نعلمه أن اللغات نتعلمها بالتلقين المباشر ولا يصح فيها الاستدلال والاستنباط ولا التجريب والافتراض ولم نسمع فى أى وقت عن رجل تعلم لغه ما بإجراء مقابلة بين نصوصها.

خلال القرنين الماضيين لم تعن جامعات وأساتذة التاريخ فى العالم بشئ قدر ما عنت بدراسة تاريخ مصر القديمة ومنذ ذلك اليوم الذى أعلن فيه شامبليون أنه قد توصل لفهم وإدراك تلك الطلاسم والرموز وأصبح لتلك الأحجار والجدران والبرديات المنتشرة فى ربوع مصر أصبح لكل هذه المهملات عبر القرون معنى ومدلول وتسارعت الأيادى تسبقها الأيادى الكشف عما تخفيه الرمال وما توارى عن العين وكذلك الذى ظاهر أمام الأعين ولم يكن مفهوماً.

ولكن فى خضم هذا التصارع وأثناء هذا المتصارع لفهم تلك الحضارة

المهمه آنذاك فإن الذى يهمنا أنه بعد كل هذا الجهد والعمل ظهر لنا ما نعرفه اليوم بتاريخ مصر الفرعونية . أو تاريخ مصر القديم وأكثر ما جذب الانتباه وكان العامل الأساسى الذى عنى به الباحثون باعتباره المصدر الوحيد لادراك وفهم والتعرف على هذه الحقبة الزمنية المبكره من عمر مصر والبشرية كلها وهو اللغة المصرية القديمة ولأهمية اللغة المصرية القديمة فى دراسه التاريخ المصرى أصبحت اهم مجالات البحث للباحثين ولكن ... لكن بعد كل هذا الزمن الذى مر على اكتشاف شامبليون وما تبعه من كشوف فى هذه اللغة وجدنا ان هذه اللغة كما هى فريدة فى الطريقة التى ظهرت بها هى أيضاً مزيده فى الفاظها وأسلوب التحدث بها وكذلك فى التعامل معها .

وظلت هذه اللغة عرضة للعبث طوال تلك الفترة ولم يتم التعامل معها كلغة لها قواعدها وألفاظها الخاصة بل كانت قواعدها توضع وفقاً لأهواء الباحثين وألفاظها هى ما يحدده لها المستكشفون .

*** اللسان الخشبى**

ما – عن – كا – رع – جحو – نعت – تى – مرى – عنخ – تا – سا . هذه الكلمات أو الألفاظ هى بعض ما قدمه لنا الباحثون فى المصريات على أنها كلمات مصرية صحيحةكان المصريون يستخدمونها فى فجر التاريخ البشرى لكن أكثر ما يستلفت الانتباه إليها أنها مجرد مقاطع صغيره تتكون عاده من حرفين أو صوتين اثنين وقليلا ما تزيد إلى ثلاث ونادراً ما تصل إلى أربع وقد تبدو هذه المقاطع للوهلة الأولى أنها درس للتلاميذ لإعادة تكوينها وصنع فهمها كلمات ذات معنى ومضمون ويرجع ذلك لأنه عادة ما تتكون هذه المقاطع من حروف ساكنة والحروف المتحركه قليلة الاستخدام ولا تظهر إلا نادراً وعلى مضض .

وربما يجدر بنا هنا أن نذكر ما ذكره « لويس بقطر » فى كتابه « تأملات فى الأدب المصري القديم » وهو يتساءل ويجيب نفسه . وربما يتباين إلى الزهن سؤال : كيف نميز بين شعرهم ونثرهم؟ وكيف نحدد أن هذا النص شعر أم نثر؟ وهذه

ليست مسالة بسيطة لاننا عرفنا اللغة المصرية القديمة من خلال الحروف الساكنة أكثر ما عرفناها من خلال الحروف المتحركة ومن هنا يصعب ان تصل إلى نطق مؤكد للكلمة وتصبح مقاطع الكلمة مجالاً للتخمين. وقد ذكرنا هذا الجزء من «تأملات لويس بقطر» ليكون تمهيداً ومدخلا إلى مشكلة المصرى القديم ولسانه الخشبى.

ففى شتى بقاع الأرض شمالها وجنوبها شرقها وغربها وعبر العصور والأزمنة نجد قاعدة لا إستثناء فيها وهى ان أكثر الاصوات والحروف المستخدمه فى أى لغة كانت هى تلك الحروف المتحركة والتى تعبر عن الأصوات «أ، و، ى» فى العربيه وأيضاً الحركات مثل الضم والفتح والكسر ... إلخ

ويقابلها فى اللغات الأوروبية A-E-O-U-I-W-Y والتى تعبر عن نفس الأصوات وهذه الحروف أو الاصوات لا تخلو منها أبداً أى كلمه وعادة ما تضم واحدا أو أكثر. ويرجع هذا الانتشار والشيوع لهذه الحروف والأصوات وغلبتها على سائر الحروف الأخرى إلى أنها تعمل عمل الزيت للمحرك وعمل الماء للبلع والهضم.

كذلك فإن الحروف أو الأصوات المتحركة فهى تنتشر فى الكلمات وتيسر النطق على اللسان فدائماً ما ترى الإنسان يتحدث باى لسان فعند تحدثه وتكلمه هناك حركات رئيسية لابد أن تظهر على قمة وهى الفتح أو «الضم» «و» أو الكسر «ى».

وبالرغم من كل هذا الانتشار والغلبة للحروف المتحركة فى جميع الألسن باعتباره طبيعة إنسانية وضرورة لاغنى عنها بالرغم من هذا نجد ان اللغة الوحيدة التى أهملت الحروف والأصوات المتحركة ولم تتعامل معها الإ على مضض هى لغة المصرى القديم كما يسمونها وحتى هذا التعامل البسيط نجد ان الصوت المتحرك يظهر فى آخر المقطع أو الكلمة عادة وقليلا بل نادراً ما يأتى فى المقدمة.

وهنا تظهر مشكلة شديدة التعقيد فإن الذى يريد ان يتحدث ويتكلم

ويزاول حياته اليومية بكلمات عبارة عن مقاطع مغيرة ما يزيد المشكلة ان الاغلبية فى هذه الكلمات أو المقاطع عبارة عن حروف وأصوات ساكنة جامدة ولا يرى المتحرك منها إلا أمانى ويمر عليه مرور الكرام فهكذا قد صار الأمر إلى نوع من العذاب فتكون جملة بهذا الشكل أو عبارة شئ مرهق جداً على اللسان فما بالنا بمن يفعل هذا ليل نهار يتبادل الأحاديث وينشد الأغانى ويقضى جميع حوائجه فإن هذا الأمر يجعل من الذين فقدوا نعمة الكلام فى نعمة عظيمة يحسدهم عليها الذين يتكلمون ....

وهذا السلوك الغير آدمى والذى يخالف الطبيعة البشرية فى أسلوب الكلام يأخذنا إلى شئ لا يمكن انكاره أو جحده وهو ان لم يكن هناك أخطاء وقد حدثت اثناء عمليات ترجمة النصوص المصرية القديمه فإن الأمر كله محض افتراء وتلفيق لا أساس له من الصحة أو الصواب.

إذا ان الحديث هنا عن أمة امتد بها الدهر من الأعوام الكثير والكثير ومن الطبيعى انه ما يسرى عليها هو ما يسرى على سائر الأمم والحضارات المشابهة بها وما يسرى على أفراد هذه الأمة ذاته ما ينطبق على أمثالها فهؤلاء مثل أولئك كلهم يتفقون فى ذات الطبائع البشرية والتكوين الإنسانى.

ولو ان الأمر يتعلق بفرد واحد فيمكن ان يقال ان فى لسانه علة ما أوفى كتابته شئ من الجهل وعدم المعرفه وليس من الطبيعى ان يعانى كل أفراد هذه الأمة من ذات العلة أو يجهلون كلهم شأن لغتهم وعاشوا على هذا الجهل من الأيام والسنين الآلاف والآلاف دون ان يدركوه.

فكيف يتخلى الانسان مهما تباعدت به الأيام عن أحد صفاته وتكوينه الانسانى فى استخدام الأصوات المتحركة المرنة التى تكسب اللفظ المرونة والوزن الذى يمكن اللسان من الإفصاح به.

ترجمه أم ....

وهنا نعود أيضاً إلى « تأملات لويس بقطر » وبالتحديد إلى مقولته « ومن هنا يصعب ان نصل إلى نطق مؤكد للكلمة وتصبح مقاطع الكلمة مجالاً للتخمين » اى انه يرى فى الحصول على نطق سليم مؤكد للكلمه شئ صعب جداً وبالتبعية فإن المقاطع المكونة للكلمات صارت « مجالاً للتخمين، وفى هذا رقة شديدة ومجاملة إذ ان التعبير الصحيح « ملعباً للتكهن والدجل » ذلك إن العالم فى بحثه لا يعتمد الا على ما هو واضح وصريح حتى يصل إلى نتائج محققه الصدق وليس « مجالاً للتخمين » فيحصل على نتائج من « الدجل والكهانة » فإن أهم قواعد الترجمة بين اللغات هو الحصول على النطق السليم للكلمه لإدراك المعنى المراد بها حتى يصل إلى ترجمة سليمة لها ولكن فى هذه اللغة كانت الترجمات تاتى وفق أهواء من يقوم بها وقد ظهرت هذه الاختلافات فى الكثير من النصوص وقد قدم لويس بقطر بعض هذه الاختلافات وتحديداً من خلال نص مصرى مسجل على بردية محفوظة فى متحف برلين تحت رقم ٣٠٢٤ والذى أطلق عليه اسم « أموت أولا أموت هذه هى المشكلة » وقد عرض الأجزاء الكاملة التى يسهل فهمها وترك تلك الغامضة المبتورة على حد تعبيرة ثم ذكر هذه الاختلافات فى هامش.

(١) إنه ينتزع الإنسان من بيته ويلقى به على أرض مرتفعه ينتزع الانسان من بيته المهجور على الأرض المرتفعه.

هذا المعنى متباين تماماً فالأولى تشير إلى أن الانتزاع من البيت ثم الالقاء إلى مكان مرتفع عن سطح الأرض والثانية تدل على أن الانتزاع تم من بيت مهجور والذى يوجد على أرض عالية.

(٢) إذا استمعت نفسى البريئه لى واتفق قلبها معى سعدت لأنى سأجعلها تصل إلى الغرب.

إذا استمعت روحى لى تلك الرقيقة المهملة.

هنا لا علاقة بين الأولى والثانيه لا فى المعنى أو المدلول.

(٣) معهم يتكلم سمك الشواطئ
يخبرهم السمك بحدود الماء
(٤) كواسر الطير
براز الطير المتساقط
الاختلاف هنا بين الكواسر والبراز المتساقط
(٥) في يوم والسماء ساخنه
أكثر من الحصول على سمك ميته
(٦) تغلي بالتمرد عندما يستدير بظهره
أكثر من شاطئ يعيش فيه تمساح ملعون سئ ظهره مكشوف
(٧) وكل إنسان يسرق جاره
طالما هناك معاصي فكل إنسان يخاف خصمه
(٨) والواحد يتطلع متسائلاً إلى أخيه
لما كانت الراء اصبحت بالية فلكل إنسان وجهه نظر متدينه من وجهه نظر أخيه .

(٩) قوم القرابين على المتربع
وأنت مستمر على اللهب
ثم أنظر إلى هذه .

كلمه « The » يراها فولكنه » يضلل ويراها « سكارف » يهاجم وجودتك يراها «   » وايضاً « She » أو « kn » لقراء O أخرى مختلفه يراها أبرمان أروقه ومعه آخرون آما جودتك فيراها « اتم » وفي هذه الأمثلة نرى إختلافات كثيرة وتتنوع هذه الاختلافات في أشكالها ويختلف فيها ترجمة ذات اللفظ بين فعل واسم وظرف فيراه أحدهم فعلاً والآخر اسما وهكذا .

ونعود إلى لويس بقطر ونرى تعليقه على هذا النص والذى جاء فيه « ورغم هذا نستطيع أن نقول أن النص مازال ينتظر من يحل كثير من طلاسمه » أى أن الأستاذ « لويس بقطر » يرى انه برغم كل هؤلاء الذين قاموا بتقديم ترجمات لذات النص يرى إن النص ما يزال طلسما يحتاج إلى من يحله.

وهذه الاختلافات كلها اعتمدت على ما اعتمد عليه سائر الباحثون فى علمهم والتى أفرزت ما يسمى بتاريخ مصر القديمة.

إن إدراك وفهم اللغة المصرية القديمة كان العامل الرئيس أو الوحيد فى الحصول على هذا الذى يسمى « تاريخ مصر القديم » وهو الذى نسج لنا هذا النسيج ولكن عجز العلماء على مدار كل هذه الأعوام من الحصول على ترجمة صحيحه لهذا النص ولو أن هناك معرفة حقيقية للغة المصرى القديم لحصلت لهذا النص على ترجمة واحدة وأخرى سليمة لا يختلف عليها أحد ولو نظرنا إلى كم الاختلاف الذى فى هذا النص لوجدناه كبيرا جداً على حجمه وأن وجود كل هذا الكلم من الاختلافات فى الترجمات لنص بمثل هذا الحجم الصغير يأخذنا إلى أنه لا وجود حقيقى لمعرفة لغه مصر القديمه وبالتبعية فإن هذا القصور يعم ويشمل بقية النصوص والمدونات الأخرى على اختلاف أحجامها وأشكالها سواء برديات أو جداريات.

*** الحضارة المصرية والأثر الأغريقى عليها.**

الحضاره القديمة لليونان والتى اشتهرت باسم الحضارة الاغريقية كانت ولا تزال هى صاحبه اعظم الاثر ومصدر الالهام لدى كل شعوب أوروبا والتى يدون فيها الأمر لكل حضارات المجتمع الأوروبى وكان يظهر فى الماضى قبل التعرف على حضارات مصر والصين وبابل أن هذه الحضاره هى الأقدام والأصل لكل حضارات الأرض شرقاً وغرباً.

وكان لهذا الشعور الغالب لدى المجتمع الاوروبى وخاصة المهتمون بعلم التاريخ أثره البالغ فى محاولاتهم فى فهم الكتابات المصرية القديمة وتأويلات

وكذلك فى إدراك المغزى من تلك الرسومات المنتشره فى المقابر والمعابد وأدى هذا التأثر إلى ظهور نوع من التشابه فى العديد من النواحى تقترب فى التماثل والتطابق التام وهذا الأمر شائع وطبيعى بين حضارات العالم القديم ولكن هناك بعض الأحوال التى لا تتوافق مع بعض البعض وتشتد فيهما بينهما على السير الطبيعى لأسلوب الحياة لدى المصريين القدماء.

وأول تشابه بين حضارة مصر وحضارة الاغريق جاء فى قصه الوجود أو بداية الحياة ففى الأسطورة الإغريقية البداية كانت «الفوضى – شوس choos ثم ظهرت الأرض– جايا – gaen» مسطحة ومن تحتها» الجحيم ترتاروس – tartarus ومن الأرض ظهرت السماء – أورانوس oranus – والجبال والأنهار والمحيط ثم تزوج كل من «الأرض – جايا» «بالسماء – أورانوس» ظهرت المرده – تيتانس – titans.

وبعد صراع طويل بين الأب وأبنائه المرده انتهى بإلقاء المرده إلي الجحيم وتولى «زيوس – zeos» الابن الاكبر «لاورانوس – السماء» مقاليد الحكم واصبح كبير الآلهة والذى تزوج باخته «هيرا – Hera» وانجب منها بقية الآلهة «هيرمس Herms» ، ديميتر Demetr ابو للون .... إلخ.

هذا فى الشق الأغريقى حسب أسطورتهم اما في الجزء المصرى فكان هناك تفسير للوجود يسمى تفسير مدرسه «أودن – هيلوبلس» للوجود وجاء فيه:

إنه كان «النون – المحيط الأزلى» هو البداية ومنه ظهر «أتوم» الذي يرو عنه كل من «شو» «رب الهواء» و «تفنوت» رب الرطوبه ومن زواجهما بعض أنجيا «جب» رب الارض و «نون» ربه السماء وبعد زواج الأرض بالسماء ظهرت الآلهة أو زير – ايزيس – ستى – نفنيس ... إلخ. نرى بوضوح هنا ان القصة تكاد تكون واحدة الا فى إختلافات بسيطة فقد اعتبر المصريرن الأرض ذكر والسماء انثى والعكس لدى الإغريق وكان الصراع هنا بين أو زيروستى وهناك بين زيوس والمرده.

هذا التشابه فى نظرية الوجود وتفسيره لم يكن الوحيد ولكن تعدى النظريه وذهب إلى الفكر والاعتقاد . فانه بنظرة سريعة إلى الآلهه التى عبدها المصرى القديم وتلك التى عبدها أهل اليونان لوجدنا أن لكل إله عند هؤلاء مثيل وشبيه عند أولئك يقوم بعمله وينال قدسيته وشعبيته وعلى سبيل المثال «ايزيس» فى مصر تقابلها «افروديت» لدي الاغريق «وناعت» تقابلها «اثنيا» وكذلك «امحتب» يقابله «اسكليوس» و «أوزير» هنا و«هاديس» هناك و«حورس» مع «ايدوس» و «رع» «مع» ابو للون «و» آمون» و «زيوس» . . . إلخ .

وبالتتبع سنجد آخرين وهذا التشابه لم يقضى عند الآداء والوظيفه والعمل ولكن وصل إلى التشابه اللفظى والتطابق الوزنى للفظ .

ومن مظاهر هذا التشابه أنه كان لدى الاغريق من يلقبون «بأبناء الالهه وهم من الأبطال الذين شاعت سيرهم وبطولاتهم ومن اشهدهم «هرقل» والذى اعتبره الاغريق ابن لـ «زيوس» من زوجه إنسية من بنى البشر .

وفى حين كانت أم البطل هى زوجة الآله للاغريق فإن زوجه الملك هنا هى التى حملت هذا اللقب وأصبحت « الزوجه الآلهه لآمون، هذه هى أكبر مظاهر التشابه بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الاغريقية فإن هذا التشابه تواصل وتتابع حتى فى الحياة اليومية والممارسات الدينية وكذلك الفكرية والاحتفالات بالمناسبات الخاصة والعامة .

كان من الممكن أن يتقبل كل هذه التشابهات ولا نغيرها بالألوان أنه كان تشابه وتماثل فى طبيعة الحياة والحركة العامة لكلتا الحضارتين ففى حين نعم المصرى القديم بحالة استقرار فى هذا الوادى الممتد من جنوب البلاد إلى شمالها على ضفاف النيل وقدرة المصرى القديم على الحصول على حوائجه الأساسيه وغير الأساسية بمجهود ليس بالعسير المضنى ومن خلال هذا الاستقرار حصل على تجمعات سكانية استطاع من خلالها تكوين دولة قوية نعمت بالرخاء والثراء الفاحش لعقود وقرون طويلة وفى ذات الوقت كان اليونانى القديم يجاهد الطبيعة

سواء من قوة التضاريس أو من تذبذب المناخ وكان نتيجة لهذا أنه لم تحدث التجمعات الكبيرة ليكون منها دولة ولكنه ظهرت التجمعات البسيطة فى القرى ثم إلى تجمعات أكثر قليلاً وكونت تبعاً لذلك المدن.

وكان كلما ظهرت مدينة وعلت تطغى على من حولها وتضمها إلى نطاق حكمها وهكذا نجد أن التاريخ اليونانى لم يهنأ أبداً بالاستقرار بل كان فى مجمله حرباً أهلية بين الأقوياء.

هذا الاختلاف بين شكل الحياه الشخصية للفرد أو الدولة ككل كان لزاماً سيترك إختلافاً فى أسلوب الفكر والاعتقادات.

وهذه الاعتقادات الاغريقية الأصلية والتى صبغت على كونها جزءا من المعتقدات المصرية القديمة إن قبلناها على أساس أنها جزء من الأسطورة الإغريقية فلن نقبلها على كونها جزءا من الاعتقاد الدينى لدى المصريين القدماء.

وتفسير الوجود يركن إلى الأسطورة وهذا هو الطابع الغالب على المجتمع الإغريقى لذا يظهر لنا أن أعظم ما خلفه الاغريق شيئان هما الأسطورة والفلسفة وبرغم عدم وجود اختلاف في نوعية الفكر فى كلاهما حيث أن الاسطورة اعتمدت أساساً على الخيال والوهم والأخرى اعتمدت على التفكير فى ما وراء كنية الشئ أى ترك كل مظاهر الطبيعة فيه والبحث فى علاقة العليا دون النظر إلى صفاته المتعارفة أما في المجتمع المصرى فنرى الوضع مختلفا فحضاره مصر حضارة بنائية تركت أعظم رصيد فى العمارة البنائية سواء المعابد أو المقابر وكذلك التماثيل العملاقة وايضاً تركت آثاراً تدل على دراية واسعة فى علوم الطب والكيمياء والفلك لم يستطع أى من علوم العصر بكل تقدمه ان يكشف إلا عن القليل منها هذا من ناحيه ومن الناحية الأخرى فقرب مصر ودخولها في منطقه الرسالات الآلهية والتواجد فى هذا الإطار ووجود عدد من الأنبياء فيها سواء من مروا عليها مثل «إبراهيم وعيسى» عليهما السلام وآخرين قدموا وعاشوا فيها مثل «يوسف – إدريس – يعقوب» عليهم السلام يجعل هذا التفسير بعيدا عن فكرهم.

وفكرة أبناء الآلهـة تلك هى أيضـاً جـزء من الأسطوره فـإن كـان الآلهـة يتحـاربون بين بعـضـهـم البـعض ومنهم اللص مـثل « هيـرمس » Hermes وأيضـاً اللعوب الغـانية « أفروديس » والتى اشتـهرت بعلاقاتهـا سـواء مع البشـر أو الآلهـة فليس غـريبـا أن يظهـر وسط هذا أن هناك عـلاقـه بين إنسـيـة وأحـد الآلهـة مـثل « زيوس » Zeus والذى له هو الآخر العـديد من العـلاقـات الغـرامـيـة مع البـشـر أو الآلهة .

ويكون نتاح هذه العلاقه ولد يحمل من صفـات أبيـه الآلهة وأمه الانسـيـة فيصبح بين ما سموه « بالفانين » أو البشر والآلهه الذين أسموهم الخالدين ويصبح هذا هو بطلهم الذى لا يقهر مثل « هرقل » .

أما فى مصر فكانت الحالة ذات أسلوب غريب فإنه قد أصبح الملك الذى يحكـم البلاد هو ابن الآله بمعنى أنه كل من يعتلى عرش مصر يصير ابناً للآلهـة وهذا غير منطقي ففى الأسطورة نتحدث عن شخصية اسطورية ليس لها أساس فى الواقع الحقيقى فيمكننا آنذاك أن نتحدث كيف نشاء لكن فى الحاله المصريه فالحديث عن أشخاص أحياء نتعامل معهم ونراهم فى الطفولة ثم الصبا والشباب حتى الكهولة والموت .

ولا يظهر عليه ما يميزه بين بقية الناس سوى كونه الملك .

وإن قبلنا مجازاً القول بأن هذا الملك هو ابن للاله فمن الطبيعى أن يكون ابنه ابن ابن الآلهـــة ثم يكون ابنه ابن بن بن الآله . . . وهكذا . . . وفى هذا إختلاف عما هو كائن فاعتبار أن هذا الملك هو ابن للإله نفيا لنسبه للملك أبيه ويصبح ابنا غير شرعي وتتقدم أحقيته باعتلاء العرش . أى أنه الاصلح للملك نسبته لأبيه الملك لا للإلة .

وهنا نرى التأثر الشديد بالحضارة الاغريقية والنظر إليها على كونها الحضاره الام لكل الحضارات حتى تلك التى سبقتها بالآف السنين ولعل أبلغ ما يبرز لنا هذا التأثر أن العلماء والباحثين اكتفوا بالالفاظ والأسماء الإغريقية لبعض المسميات المصرية والتى لم يظهر لها أى إسم فى اللغة المصرية .

فاللغة المصرية القديمة إسمها المتعارف بين الناس الهيروغليفية » وترجمة هذا اللفظ فى العربية « النقش المقدس » وعلى غراره ظهرت الاسماء « الهيراطيقى » بمعنى الكهنوتى » والديموطيقى بمعنى « الشعبى » والقبطى بمعنى « المصرى » وهذه الأسماء كلها اغريقيه لا تمت للمصرية القديمة بصله سوى أنها تطلق على لغتهم ونقشهم وخطوطهم كذلك فإن اسم مصر لم يظهر فى أى من المدونات والمخطوطات المصريه فإسمها الاغريقى ايجبتو « Aigyptus » والذى ظهر منه اسمها اللاتينى ايجيبت « Egypet » ومصر هو اسمها العربى وليس اسمها فى لغه المصرى القديم .

وهذه المسميات أساسية فى تكوين العلاقه بين المرء ولغته ووطنه الذى يعبر عن هويته وعلى غرار هذا فإن العربى يقول « لغه عربية – عربى بلاد العرب » ويقول عن الانجليز « انجليزى – لغه انجليزيه – انجلترا – ففى الأولى يعبر عن نفسه فيسمى لغته ونفسه وبلاده وفى الثانيه يتحدث عن الانجليز فينسبه لوطنه ويسمى لغته ووطنه فى حين أن الانجليزى يعبر عن نفس الأشياء بقوله « Arap contry - Arapic - Arapiclong » وعن نفسه « English long - English England » ويظهر هنا اختلافا بين الاسم الذى يطلقه المرء على لغته وهويته ووطنه وبين الاسم الذى يطلقه الآخرون على ذات الاسماء وهنا تبرز مكانه ان يستطيع المرء أن يعبر عما يطعن من خلال لغته هو لذا كان من الغريب عدم وجود اسم للغة المصرية أو حتى اسم مصر ذاتها باللغة المصرية القديمة وأن يكون لدينا فقط الأسماء التى أطلقها عليها الآخرون من عرب وعجم .

وعليه فماذا كان يسمى المصرى القديم وطنه ولغته وهويته؟

هل كان يسميها « مصر » ؟ ويصبح هو مصرى ولغته المصرية كما فى اللغة العربية أم كان يسميها « ايجيبتوس » ويصبح هو ايجيبتك ولغته كوبتيك كما فى الإغريقية أم ماذا ؟ !!!

*** أين يوسف وموسى من تاريخ مصر**

رغم كثرة النصوص المصرية التى تعد أعمالاً أدبية تحمل القصة والرواية والأسطورة وكذلك نصوص لها شكل الوثائق التاريخيه والتى تحمل الأحداث الهامة فى تاريخ مصر القديم كتولى أحد الملوك الحكم أو نشوب حرب أو إنهاؤها كذلك تظهر بعض الوزراء والكهان ودورهم فى الأحداث وكذلك نصوص أخرى تتعرض للعديد من مظاهر الحياه العاديه للناس فى المجتمع المصرى القديم برغم كل هذا الوفر فى تلك النصوص لم تحصل ولو على شئ واحد يشير من قريب أو بعيد إلى قصة يوسف عليه السلام أو قصة موسى عليه السلام مع فرعون.

فإن فى كلتا القصتين من الأحداث ما علق بالأذهان وتناقلته الألسن ففى قصة يوسف الكثير من المشاهد التى تترك النفس فى حاله من التعجب والاضطراب فأولا قصته مع إخوته وكيف تجمعوا وأجمعوا أمرهم على إلقائه فى البئر فيلقفه بعض السياره ثم يبيعونه لرجل من مصر ويكون هذا الرجل صاحب أعلى المناصب فى الدوله بعد الملك وهو «العزيز» وهذا المنصب آنذاك هو المنوط به شئون الفروع والحصاد والخزين فى شتى ربوع البلاد.

وتبدأ فى بيت هذا العزيز قصة أخرى بين هذا الشاب الذى اشتراه عبداً وبين زوجة العزيز والتى بهرها جمال ذلك الفتى وفتوته حتى راودته عن نفسه إلا أنه استعصم وشاعت الأحاديث عنها حتى أنها «امرأه العزيز». أتت بمن لامها فى عشقها لفتاها ولما أخرجته عليهن قطعن أيديهن من فرط فتنته وراودنه جميعاً ولكن لم يسلم لهن فألقى فى السجن وفى السجن تبدأ قصة أخرى فكيف يفسر ما رآه الرجلان ويتذكر الذى خرج وكان قد طلب منه أن يخبر الملك عنه ويحدث أن يرى الملك مناماً فيقلقه ويؤرقه ويجمع من حوله ليخبروه عما رأى ولا يستطيع من حوله أن يخبروه حتى يخبره ساقيه عن زميله فى السجن فيفسر ما رأى الملك ثم يطلبه الملك ويرفض قبل أن يسأل النسوه اللاتى قطعن أيديهن فيبرئنه وتشهد امرأة العزيز بأنها راودته وأبى هو ذلك فما يكون من الملك إلا أن

يجعله من خاصته ويصبح يوسف هو عزيز مصر ويمر بالبلاد من شدتها وفى أثناء ملك الشده يأتى إخوته يطلبون القوت لقومهم فى الصحراء فيعرفهم وهم لا يعرفونه وكيف تحايل عليهم حتى يأتوه بأخيه ثم يعرفهم بنفسه وينقل أهله من الباديه إلى مصر ويظهر معه أول ظهور لبنى إسرائيل فى مصر.

هذا باختصار مجمل الأحداث فى قصة يوسف عليه السلام وهذه القصة ثرية بالمشاهد المؤثرة التى لا يمكن لمن دون قصة مثل «الملاح الناجي - اقدار الأمير» أن يغفلها ذلك أن يوسف يظهر من الأحداث على كونه وزيراً كبيراً فى الدوله ونبى انتشرت دعوته بدليل ان امراه العزيز آمنت وصدقت به ذلك فى قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٢، ٥٣]. وفى قصة موسى عليه السلام مع فرعون الذي وصفه الحق تعالى ﴿ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٤٣].

وفى هذا الوصف الصادر من الله تعالى ما يدل على طغيان بلغ مبلغاً لم يصل إليه أحد.

وتبدأ القصة قبل مولد موسى عليه السلام حيث كان بنو إسرائيل يلقون أشد العذاب والمهانة على يد هذا الملك الطاغية والذى يصل طغيانه إلى حد قتل أطفالهم وتخاف أم موسى على وليدها فتضعه فى تابوت وتلقيه فى اليم ويصل إلى يد عدوه فرعون فيصبح هو منقذه دون أن يدرى ما ينتظره على يد هذا الصغير وحرم الله عليه المراضع ليعيده مرة أخرى الى أمه ويطمئن قلبها ويتربى فى بيت فرعون ثم يحدث أن يقتل رجلا لنصرة أحد أقربائه ويتربص به الناس فيهرب إلى خارج مصر ويمكث فى مدين فترة من الزمن ويعود إلى مصر وأثناء عودته يتلقى رسالة ربه رسالة النبوة.

وفور عودته لمصر يذهب إلى فرعون ويريه من آيات نبوته ما يؤكدها ولكن

فرعون يأتي ويرفض أن يصدقه ويجمع أعظم السحرة لديه ليهزموا موسى عليه السلام ظنا أنه ساحر وما حدث من السحرة وسجودهم لله وإيمانهم بموسى وماصبه عليهم فرعون من العذاب والتنكيل ومنع موسى من الخروج ببنى إسرائيل حتى تظهر آثار الغضب الآلهى على مصر وأهلها وانتشار الأوبئة وتنتهى الأحداث بهروب موسى ببنى إسرائيل إلى سيناء وانشقاق البحر ومرور موسى وبنى إسرائيل معه وغرق فرعون وجنده أجمعين. وفى هذه القصة من أحداث متعددة تتعلق كلها بالقصر الملكى والملك نفسه وعن فئة من الشعب عانت من الاضطهاد والتعذيب الشديد.

لذا كان من الغريب عدم وجود إشارة إلى هاتين القصتين وما فيهما من أحداث هامة كان مسرحها قصر الملك أديب العزيز وما لحق بشعب مصر من إنقطاع الفيضان وحدوث الجفاف فى عهد يوسف وفى نقص الثمار وانتشار الأوبئة والقمل والضفادع وغيرها فى عصر موسى عليه السلام.

وبالرغم من مرور أكثر من قرنين على كشف حجر رشيد وفهم اللغه المصريه بعد اكتشافه بنحو ثلاثين عاماً واكتمال حلقات تاريخ مصر القديم. بحيث يمكن تتبع أحداث ووقائع ما حدث خلال تلك الفترة المبكرة وإمكان تتبع ملوك مصر الذين تولوا مقاليد الحكم من بدايه عصر الأسرات إلى غزو الفرس والاغريق بمصر بعد إنهيار الدولة المصرية القديمة بالرغم من كل هذا لم يظهر بين كل هؤلاء الا الملك الذى اتبع النبى يوسف عليه السلام وجعله «عزيز مصر» وكذلك الملك الذى طغى وهلك فى اليم والقلة التى عانت الاضطهاد وهم بنو إسرائيل.

ولماذا لم يظهر اسم «يوسف» عليه السلام «عزيز مصر» الذى تولى أمر عبور المحنه والجفاف والذى كان وبالضروره سيظهر فى المدونات إن لم يكن كونه نبياً رسولاً فانه بطل ووزيراً قديراً.

أما موسى عليه السلام فإنه سيظهر بوصفه أحد المارقين على الملك والذى يبهر الناس بسحره والذى استطاع أن يقهر الملك ويهرب بأهله هذا إن كان من

يدون هو من الذين اتبعوا فرعون ولم يؤمنوا بموسى. والاغرب أنه من قبل هذه الاكتشافات والمعرفة الكاملة بتاريخ مصر لم يكن لدينا خبر حقيقى وصادق ومؤكد عن هذه الفتره القديمة سوى ما ورد عن قصة يوسف وموسى عليهما السلام سواء فى القرآن أو التوراه برغم الاختلافات بينهما فى الرواية. ولكن بعد معرفة اللغة وحل الطلاسم والرموز أصبح لدينا أكثر الفترات غموضاً ولا وجود لها فى التاريخ كما صاغه اصحاب هذا العلم حتى تلك الفتره التى وجد فيها يوسف عليه السلام وتلك التى كانت لموسى عليه السلام أيضاً.

والغموض لا يعنى وجود فترة مجهولة لا نعرف عنها شيئاً ولكن لاكتمال سلسلة الاحداث واكتمال حلقات التاريخ المصرى القديم دون ذكر هذه الفتره ولا تلك.

وفى حين غير وثائق لوصايا الحكيم «امنحتب» و «الفلاح الفصيح» وغيرهما وفى حين نجد قصص مثل «الملاح» و «ستوهى» ومدونات تذكر أسماء لوزراء نكرات لم يقم احد منهم بدور حقيقى فى شئون الدوله حيال ذلك لم نجد شيئا يذكر قصه النبيين ولا اللقب «عزيز مصر» وكونه احد أعلى المناصب فى الدوله ولا «عيد الزينة» أو يوم الزينة» الذى ذكر فى القرآن.

وبعد هذا كله نعود لنسأل هل حقيقى اهمل المصريون تدوين هذه الاحداث الهامة؟ أم أنه أهملت عمدا هذه الأحداث ليس من قبل المصريين القدماء ولكن من المستكشفين.

• تاريخ صناعة يهودية:

لقد كان لمعرفة اللغة المصرية القديمة وامكان قراءة النصوص المصرية أعظم الأثر فى حصولنا على هذا التاريخ لتلك الحضاره التى اذهلت العالم أجمع وتناولت هذه النصوص كل نواحى الحياة فى مصر القديمة.

ولقد كان الدور الاوربى هو الدور الرئيس فى اكتشاف المقابر والمعابد التى دفنت بفعل الزمن وكان الدور المصرى حقيقة يتمثل فى تقديم يد المعونة فى الحفر والتنقيب وتقديم كافة المساعدات الإدارية ثم يعود ليقف فى صفوف المتفرجين ينتظر ما يقدمه له الأوروبيون.

وكان لابد لهؤلاء العلماء الباحثين الأوروبين من الرجوع إلى مصادر لها علاقه بهذه الفترة المبكرة من تاريخ مصر ويكون لهذه المصادر صفة اليقين الذى يمكن الاعتماد عليه ولأن الانجيل لم يتحدث أو يتناول مثل هذه الأحداث فإنه لم يبقى غير التوراه والقرآن ولسبب ما تم تجاهل القرآن تماماً ولم يتم الرجوع إليه واعتباره مصدراً لا يصلح فهل رأى هؤلاء العلماء أن القرآن ليس من كتب الله؟ أم ماذا . . .؟

وهكذا لم يبقى غير التوراه لتصبح مصدراً رئيسياً لكن العلماء والباحثين سواء قبل البحث أو بعده وفى مقابل هذا الاهتمام بالتوراة نجد الجحود والتجاهل التام لما ورد فى القرآن الكريم فى شأن مصر.

وتتواتر دلالات كثيرة لتؤكد هذا الاهتمام بالتوراة فيما قيل أنه فى تاريخ مصر القديم فإن الاسم الذى أطلق على أحد الآلهة التى عبدها المصريون وهو «ست» هو ذاته اشتقاق من الرسم العبرانى «شيث» الذي ورد في التوراة كاسم الابن لحواء جعله الله العوض «لهابيل» ابنها المقتول كما ورد فى سفر التكوين الإصحاح الرابع.

وأيضاً «رمسيس» وهو واحد من أشهر الملوك فى تاريخ مصر القديم فإن قراءته السليمة «رعمسيس» وهو ما يتفق مع الروايه التوراتيه التى ذكرت بأن بنى إسرائيل قد سخرهم فرعون والمصريون لبناء مدينة تسمى «رعمسيس» سفر الخروج الاصحاح الأول وقد قيل أنه فى بعض المصادر المصريه قد وجد ما يدل على بناء مدينة فى عهد رمسيس الثانى وسميت «بـ رعمسيس» وهذا ما اتفق تماماً مع رواية التوراة وهناك أيضاً بعض النصوص التى توضح اهتمام المصرى القديم بالقرابين وتقديمها للآلهه وللأموات منهم وما قيل عن هذه من إنها تحرق حتى تقبلها الآلهة.

وهذا ما يتفق مع ما أوردته التوراة فى الاصحاح الرابع عشر من سفر «اللاوبين» والذى جاء فيه أن الكاهن يقوم بعمل ذبيحة خطيئة ويحرقها قربانا على المذبح.

وكذلك ما أشاعه الأحبار اليهود من أن علامة تقبل الله تعالى للقربان يتمثل فى نار بيضاء تهبط من السماء فتلتهم القربان .

وفى إحدى الوثائق والتى سميت « اويور » جاء ما قيل أن ترجمة « أن نهر النيل أصبح قبراً وصار بلون الدم » وهذا مقتبس مما جاء فى التوراه من عقاب الله لمصر وإنتشار الجراد والضفادع وغير ذلك جاء أن « نهر النيل تحول إلى دم » .

هذا وإن أكثر ما اتفق فيه التاريخ المصرى والتوراة هى أحكام وشرائح العقيدة فيكاد يكون الاثنان وجهين لعمله واحدة أو نهران من منبع إلى مصب واحد مع أن التوراة كتاب أنزله الله تعالى والعقيدة القديمة وثنية من نسج خيال أصحابها .

فمما وصلنا أنه كان فى القدم حكيم يدعى «آمينتنوبى» وقد خلف هذا الحكيم وصايا ومما جاء فيها :

لا تصاحب رجلا عاد « » ولا ترغب فى محادثته، الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه أهلاً للعمل فى رجال البلاط .

وفى سفر الأمثال جاء :

لا تستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجئ

ارأيت رجلاً مجتهداً فى عمله أنه أمام الملوك يقف .

وهناك ما جاء فى كتاب الموتى الفصل ١٢٥ ومنه :

أنى لم أرتكب القتل ..... ولم آمر بالقتل

إنى لم ارتكب الزنا

أنى لم أخسر مكيال الحبوب

أنى لم أنقص المقياس

وما هذه الدفاعات التى يدافع بها المتوفى عن نفسه أمام أوزير . ومن نشيد إخناتون جاء هذا الجزء :

يزدهر كل شئ لأجل الملك
لانك أنت الذى خلقت الأرض
وأنت الذى خلقت الناس لأجل ابنك
الذى ولد من صلبك
ملك مصر العليا ومصر السفلى
الذي يحى على الحق
سيد الأرضين « اخناتون » الذى يحيا إلى الأبد .

وفى التوراة نجد ما قاله الله تعالى لسليمان عليه السلام :

« أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا « صمويل الثانى اصحاح ١٣ . وعن داود ورد أنه قال :

« إنى أخبر من جهه قضاء الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك اسألنى فاعطيك الامم ميراثا وأقاصى الأرض ملكاً » المزمور الثانى وهذا ليس كل شئ فإن مظاهر الاقتباس تتابع كلما توغلنا قدما فى هذا الأمر وخاصة الوصيا والحكمة والمسألة الدينيه وبالرغم من أن هؤلاء المصريين القدماء كانوا يعبدون وثنيا وفى التوراة إله واحد أحد .

وفى خضم هذا الاتفاق العجيب مع التوراه نجد تجاهلا تاما لما ورد فى القرآن من قصتى يوسف وموسى عليهما السلام وعدم ظهور لقب « عزيز مصر » بصفته أحد أهم الوظائف فى بلاط الملك والدولة وكذلك اختفاء « يوم الزينة » أو « عيد الزينه » كأحد أعياد المصرى القديم وهذا الاصرار الغريب على الهيكلة الاغريقية للدولة المصرية برغم كل هذا الكم من الوصايا والمناهج التى تتفق مع التوراه .

والمسألة هنا ليست فى التوراة ذاتها فالتوراة كتاب أنزله الله تعالى وليس لى أو لأى إنسان أن يتعرض له بسوء أو حتى بنقد ولو بسيط وإنما نذكر هنا ما جاء فى حكم التنزيل :

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨- ٩٢]. وأيضاً قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبه: ٣٠].

وقوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

وهنا نرى أن هناك اختلافا بين القرآن والتوراة وأمر من الله تعالى إلى الرسول ﷺ والمؤمنين جميعاً بان يحكموا بما أنزل الله وأن الذي يزيعونه اليهود على أنه التوراة هو ليس بالتوراة كما أنزلت ولكنهم ادخلوا عليها ما ليس فيها وحذفوا منها أجزاء أيضا.

لذا فإن المسألة ليست فى التوراة ذاتها ولكنها فى اليهود الذين سيطروا تماماً على فكر هؤلاء الذين قاموا بهذه الاستكشافات ونسجوا هذا التاريخ وألبسوه لمصر ولا سيما وأن هذه الاستكشافات تواكبت مع انتشار وظهور الفكر الصهيونى والذى أصبح ذا وجود حقيقى إبان هذه الأبحاث وجاء إنتقام اليهود من مصر فى العصور القديمة منذ أن ذاعوا الأكاذيب عنها ووصل بهم هذا إلى تحريف وتحوير ما أنزله الله تعالى فى التوراة كما ذكر الله تعالى فى كثير من آيات

القرآن الكريم . وحانت لهم فرصة ثانية ذهبية واستغلوها ليدسوا سمومهم فى ماضى هذه الأمة واستغلوا أيضاً انبهار العالم بهذه الحضارة وشغفه لمعرفة كل شئ عنها فى تنفيذ مخططهم الإجرامى الذى نجحوا فيه ببراعة فائقة .

وعندما ننظر إلى هذا التشابه بين التوراة وما ورد فى النصوص المصرية القديمة نقول إن الاقتباس تم من التوراة إلى هذه النصوص وليس العكس لعدة أسباب :

أولها : أن هذه الوصايا والأخبار تتفق مع كون أن التوراة كتاب سماوى ويختلف مع كون أن المصرى القديم وثنى كافر .

وثانيها : إن هذه الأخبار كانت فى التوراة منذ وقت نزولها على موسى عليه السلام أى نحو ثلاثة آلاف عام تقريباً وظلت هكذا وما تزال وفجأه تظهر نفس القيم والوصايا لتنسب إلى المصرى القديم .

وثالثها : إن كان المصرى القديم بهذه المثل والقيم وأيضاً بنو اسرائيل فكيف ظهر العداء بينهم ولماذا فعل المصريون ببني إسرائيل ما فعلوا .

ولعل أعجب شئ أنه لم تظهر ولو إشارة بسيطة فى تاريخ مصر إلى وجود بنى إسرائيل فيها مع أن دخولهم اليها لم يكن خفية أو انتقال عادى ولكن هجرة جماعية وكان أحدهم أكبر رجال الدولة يوسف عليه السلام «عزيز مصر» وأنهم دائماً ما كانوا قريبين من القصر والحكم حتى خروجهم والذى كان آية من كل النواحى ولو أضفنا ما حدث للمصريين جميعاً بسببهم لرأينا أنه لابد أن يظهروا كثيرا فى النصوص المصرية سواء الرسمية أو ضمن قصصهم وحكاياتهم .

وكان من الطبيعى أن يذكر بنى إسرائيل كشرذمة وقلة صغيرة فى التاريخ المصرى من خلال الوثائق والنصوص فيأتى ذكرهم فى كل شر ولن يكون بالمدح أبداً فالعداء قائم بين الشعب وهؤلاء العبرانيين ولو أضفت إلى هذه السمعة التى اشتهروا بها فى مختلف البلاد والأزمنة فهم يأكلون الربا وقدموا فتياتهم كغوانى فى بلاد فارس وبلاد العرب وسائر البلاد وعدم الولاء سواء للدين أو الأرض وعدم

الوفاء بالأمانات وما إلى ذلك من الصفات التى اشتهروا بها فإن المصرى لن يذكر عنهم خيرا وسيظهر من ضمن ما كتب أشياء لا يريد اليهود أن يعرفها أحد .

وعلى هذا الأساس ومن خلا هذا المنطلق لم تظهر أى إشاره إلى بنى إسرائيل ولأن الفكر الصهيونى كان قد أتخذ شكراً فى المجتمع الاوروبى ولاعتماد العلماء على اليهود والتاثر بهذا الفكر كان لزاما وحتما عدم ذكر بنى إسرائيل فى التاريخ المصرى القديم .

* فرعون :

كلمة فرعون بالنسبة للتاريخ المصرى القديم حسب ما ذكر فيما قيل أنه ترجمة للنصوص المصرية القديمة هى إشتقاق من اللقب المصرى القديم « بر – عا » والذى يعنى « البيت الكبير » حسب زعم أصحاب هذه الترجمات وكان يقصد به بيت قصر الملك ومقر الحكم وظهر مع بداية الدولة القديمة وظل على ذات حالة الدولة الوسطى ومع بداية الدولة الحديثة فأصبح هذا اللفظ أو اللقب يقصد به الملك نفسه وليس القصر الملكى .

وكلمه فرعون ذاتها حسب ما لدينا لم تظهر حقيقة فى أى من هذه الوثائق والنصوص لكن الذى ظهر هو « بر – عا » أما لفظ « فرعون » فهو إشتقاق من الكلمة سالفة الذكر وقد نقل من المصرية القديمة إلى العربية والعبرية ومنها إلى بقية لغات العالم حتى غلب الاشتقاق على المصدر . وخلاصة هذا أن كلمة فرعون أو « بر – عا » هى لقب مثل « ملك » « وامبراطوز » « وسلطان » . . . إلخ هذا هو موقف التاريخ واللغة المصرية من هذه الكلمة حسب زعم المؤرخين .

القرآن الكريم ذكر كلمة فرعون في الكثير من آياته ومنها قوله تعالى :
﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾

[البقره : ٥٠]

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الإعراف : ١٠٤]
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه : ٤٣] .

﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ ... ﴾ [القصص: ٣، ٤].

هذه بعض الآيات التى ذكر الله تعالى فيها « فرعون » فى القرآن الكريم والملاحظ فى هذه الآيات أنه تعالى ذكر كلمة فرعون على أساس كونها اسم علم وليس صفة فقوله جلا وعلا « اذهبا إلى فرعون » تعنى أن المقصود بها رجل اسمه فرعون وليس صفته والإلقال إلى الفرعون بأضافة أداة التعريف « ال » لو كان صفة وإطلاقها نكرة تعنى التعميم وعن إضافتها إلى معرفة تعنى التخصيص مثل « ملك – الملك » وفى قوله تعالى ﴿ قال فرعون ﴾ يفيد أيضاً بأن الفاعل هنا اسم علم لا يصح أن يكون فاعلا فى جملة خبرية.

وفى قوله ﴿ نبأ موسى وفرعون؟ وقارون وفرعون وهامان ﴾ نجد أنه تم عطف ذات الكلمة مره مع موسى عليه السلام وأخرى مع قارون وهامان وكل هذه الأسماء أسماء علم وكما نعرف من قواعد اللغة العربية أنه لا يعطف نكرة على علم فلابد أن يكون لفظ فرعون أيضاً معرفة مثل ما عطف عليه.

وجاء ذكر الفئة التى كانت مع هذا الجبار المتكبر بقوله عز وجل ﴿ آل فرعون ﴾ وهكذا فقد جعل الله عز وجل هذه الفئة تعرف باسم هذا الرجل ولو كان هذا اللفظ يعنى صفة أو لقب لما جاز ان يعرف بها هكذا لانه لا يصح تعريف نكرة بنكرة أخرى ولكن جاء هذا التعريف على شاكلة ﴿ آل لوط ﴾ ﴿ آل البيت ﴾ ﴿ أصحاب الأيكه ﴾ ... إلخ.

وعليه فإن كلمة « فرعون » جاءت فى القرآن الكريم على كونها اسم علم وليست صفة أو لقب بل جاءت جلية واضحة بما لايدع مجالاً للشك فى هذا.

ومن الجدير بالذكر ما ورد فى أحد النصوص الآشورية أن أحد ملوك الآشوريين قد تلقى الجزيه من « برعو » ملك مصر وهذا ما اتفق مع ما ذكر فى القرآن من أن « فرعون » اسم علم لكن المختصين قد عمدوا إلى تكذيب هذه الوثيقه ووضع فروض واحتمالات لكى يتخذوا عليها سبل التشتيت والشك.

ولما كان القرآن الكريم دائماً مصدراً لا يعترف به المستكشفون والباحثون فى التاريخ المصرى القديم فقد عمدوا إلى إظهار الكلمة فى غير صورتها التى هى عليها بالفعل ليظل هذا الأمر « بفرعون » وعصره أمراً تائها بين ملوك مصر كلهم أو كما يقولون فراعين مصر.

إلا أننا لو استعنا بالقرآن الكريم لوجدنا شيئا يهدينا يبين لنا أن هناك لبساً مقصودا ثم غبنا فيه فإنه بنظره بسيطة إلى ما ذكره الله عز وجل من خبر يوسف عليه السلام لوجدنا حقيقة لا يمكن أن نغفلها قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ** ... ﴾ [يوسف :٤٣].

﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي** ... ﴾ [يوسف :٥٤].

فى هاتين الآيتين نرى أن الذى كان يحكم مصر يلقب « بالملك » ولم يكن « فرعون أو برعا » والذى نعرفه أن مصر وقت يوسف عليه السلام كانت ذات خير وإستقرار.

وكانت تنعم بما لم يكن لغيرها فى الجوار بدليل قدوم أهل البادية إليها للتزود من خيراتها ومنهم إخوة يوسف وأهله من العبرانيين والذين عرفوا بعد ذلك « ببنى إسرائيل » ولو أن يوسف الصديق كان يرى من أحوال البلاد ما يدل على توتر أو قلق ما قدم بأهله إلى أرض لن ينعموا فيها بما عندهم فى الحضر واكتفى بتزويدهم بما يحتاجون من غلال وبقل وغير ذلك من خيرات مصر.

وما ذكرنا هذا إلا لنرد القول على من يقولون انه ربما كان يوسف عليه السلام كان فى وقت كانت مصرفيه فى حالة توتر واضمحلال أو إحتلال من قبل آخرين من الدول التى عاصرتها.

من جملة ما تقدم نرى أن الذى كان يحكم مصر هو « الملك » هذه صفته ولقب « فرعون » هو اسم لعلم وليس لقباً.

* **العلوم المصرية :**

الحضارة المصرية القديمة كانت ولا تزال سرًا لا يعلم شأنه أحد سوى الله تعالى فالذى يستعرض آثار هذه الحضاره التى خلفتها لنا يري بوضوح مدى الرقى والرخاء الذى نعم به المصرى القديم .

فهذه الأهرامات وما فيها من أسرار وتلك المعابد والمقابر وما تحويه من طلاسم أعجزت عقول العالم عن إدراكها والكشف عنها .

ولعل أكبر الأسرار فى هذا الشأن أنه لم يدعى أحد أنه قد وجد بردية أو نقشا أو أى نحت يتعلق بالعلوم التى برع فيها المصرى القديم والذي يتضح مما خلف من آثار ومومياوات براعة متناهية فى الطب والفلك والكمياء والهندسة وغيرها من العلوم .

فالذى نجده دائماً هو نصوص سواء فى البرديات أو على الجدران فى المعابد أو المقابر دائماً ما تكون جنائزيه ذات طابع دينى أو ملكية تتناول الملك والحكم أو حتى أدبية تحكى قصة أو أسطورة شعبية متوارثة أى أنه كان المصرى القديم يهتم بكل هذه النواحى الأدبية وأغفل النواحى العلمية جميعها .

وبالرغم من أنه نجد ما خلفه المصرى القديم من آثار البراعة والاتقان كان السمة الرئيسية فإن الهرم الأكبر يدل على براعة وإتقان ودراية علمية فائقة وواسعه تتمثل فى جميع مظاهر بناء هذه الأسطورة العظيمة من حجم الوحدات البنائية من أحجار ضخمة وبدون استخدام أى من الآلات المتقدمة وزاوية ميل البناء كذلك ما يكمن داخل الهرم من ظواهر تسحر الألباب وكذلك فى أسلوب البناء ما يدل على براعة هندسية فائقة .

كذلك نجد أن المصرى القديم كان له السبق فى علوم الفلك أيضاً وذلك نراه بوضوح فى معبد أبو سمبل من خلال فتحة صغيرة فى أحد جدرانه تدخل منها الشمس مرة كل عام لتعانق وجه تمثال الملك رمسيس الثانى وعمل تقويم حولى للسنين وغيرها مما تحوي تلك الوثائق كذلك فإن هذا النبوغ لم يقتصر على

الفلك والمعمار والهندسة فحسب فهذه المومياوات والتى تشهد للمصرى القديم بنبوغه فى الطب والكيمياء ذلك من خلال الكيفية التى قام فيها بتحنيط جثث الموتى وجعلها على ذات الحال طوال هذه القرون الطويلة ان ذلك وبحق لدليل على تلك البراعة سواء فى أسلوب التشريح أو المواد التى أضافها للمحافظه على تلك الجثث.

وتلك الألوان التى طلى بها جدران معابده ومقابره والتى لم تزل يظن رائيها أنها لم تدهن إلا بالأمس لتشهد له أيضاً بالبراعة ولكن اين ذهبت كل هذه العلوم . . .؟؟؟

ولأن العلوم هى أعمدة الحضارة التى تقوم عليها وركائزها التى تقف فوقها فإنه كان لزاماً أن نجد من وسط كل هذه الوثائق ما يعرفنا بها وكيف كانت الحياه العلمية بل وكيف تطورت.

ولأن هذه الآثار تحوى الكثير والكثير من العلوم فهل كان المصرى يستيقظ من نومه ليجد نفسه يعرف من العلم شيئا جديدا كل صباح أم انه كان يكتفى بأن يتناقل هذه العلوم بين الأفراد ومن جيل إلى جيل عن طريق الكلام فقط ولا يدون منها شيئاً.

فإن الذى قام يعمل هذا الثقب الصغير فى جدار معبدا أبو سمبل ليضئ وجه الملك مرة واحدة كل عام قد استغرق منه هذا الأمر جهداً مضنياً ما بين مراقبة فلكية لحركة الشمس ومعرفة زاوية سقوطها فهل كان يقوم بهذه العمليات المعقدة دون كتابتها على ألواح أو ما شابه هذه الحسابات الفلكية يعرف عنها أنها كثيره التعقيد وانه لا يمكن التعامل معها دون كتابتها أولا بأول.

وعمليات التحنيط الم تمر بمراحل التجربة والنظرية ثم التطبيق:

أن الشئ الطبيعى أن يقوم الانسان بتسجيل وتدوين الشئ الذى يخشى عليه من النسيان أوالشئ الذى توصل إليه وكيفية الوصول إليه.

هل كانت كل هذه العلوم بكل تعقيداتها أمراً هينا على المصرى القديم فلم يجد سببا ليسجل هذه العلوم وخشى على هذه الحواديت وتلك القصص التى ومن المفروض أن تكون تداولت بين العامة . . . ! !

وبالرغم من أن الذي بقى من آثار هذه العصور حقيقة هى دلائل هذه العلوم ولم تخلف وراءه أساطير أو حكايات نجد أنه بعد هذه المعرفة . باللغة المصرية القديمة وفهم كل هذه الرسوم والنقوش نجد أن كل هذا مجرد قصص وحكايات فهذه قصه « ستوهى » وتلك « قصة الوجود » .

أما هذه فهى لبردية تحكى قصة « الأمير وأقداره » وهذه النقوش « هى ترانيم . . إلخ » هل كان فعلامايهم المصرى القديم هى تلك الحكايات؟

أم أنه لم تنل أيدى العبث والتخريب إلا كل ما هو متعلق بالعلوم المصرية فى فجر التاريخ؟؟

وهذا يأخذنا لشئ غريب أنه فى ظل عدم معرفة لغه المصرى القديم إذا أفتى أحدهم وقال هذا النقش هو قصة كذا أو ترنيمة دينية تقول كذا أو رسالة تحوى كذا لن ندرك أن كانت هذه الترجمة خطأ أم صواب وصاحبها هل هو صادق أم كذاب .

لكنه إن أتانا أحد وادعى أن فى هذه البردية كيفية حفظ الجثة أو حسبة فلكية ما فإنه يسهل علينا معرفة أن كان هذا صدق أم كذب بتجربتها عمليا .

*** العقيدة والبرهان :**

العقيدة فى اللغة هى « مالا يشك معتقده فيه » ويتم التعامل معها وتداولها كمرادف للدين بمعنى أنه « الدين الاسلامى » يمكن جعله « العقيدة الاسلامية » فيعطى ذلك نفس المعنى والعقيدة بالنسبة لصاحبها الذى يؤمن بها ركيزة حياته فلا يساوم عليها ولا يقبل التعرض لها من أى إنسان . فإنه يرى فى عقيدته هذه ما لايراه بعينه ويدرك بها ما لا يتسع له عقله فتكون له الملاذ وقت الخطر وتكون

له القوة والدافع حيال ما تبقى . والعقائد فى الدنيا نوعان عقائد سماوية وهى تلك التى أنزل الله كتبها على أنبيائه المرسلين والنوع الثاني هى العقائد الوثنية سواء اتخذت آلهة من حجر والمجوسيه الذين عبدوا النار وما إلى ذلك ممن اتخذوا غير الله الواحد الأحد آلهة وقاموا بعبادتها .

والعقيدة المصرية القديمة . هى من النوع الثانى الذى اتخذ أصحابه من الأوثان آلهة وعبدوها ونحن نعلم آن كل هذه العقائد ما هى إلا من إختلاف البشر ومن صنع خيالاتهم .

والمصرى القديم كان مثل سائر البشر فى كل مكان ولكن عقيدته التى أظهرتها الكتب والموسوعات لم تكن كأى من هذه العقائد بل كانت حالة فريدة من نوعها فنحن نجد فيها مزجًا غريبا فنرى فيه الوثنية تارة ونرى فيه الصابئة تارة أخرى حتى السماويه نجدها فى طيات هذه العقيدة .

ولكى ندرك ما بالصندوق فلابد من فتحه وتفحص ما بداخله وهذا ما سنفعله فى عقيدة المصرى القديم كما ذكرها الباحثون وعلماء المصريات ونحاول تقصى الحقيقة فيها .

*** المعبـــــود :**

المعبود هو مصدر العقيدة وحسب كنيته تكون العقيدة والمعبود بالنسبة لقدماء المصريين كان الوثن وعليه فإن المصريين القدماء كانوا وثنيين ومن طبيعة هذه العقيده أن تتعدد المعبودات أمثال « ست – ايزيس – نفتيس -- أوزير – رع – فاعت – آمون – أتون . . . إلخ » .

ومن الطبيعى أن تروى عنهم القصص والأساطير التى يتداولها العامة لتزيدهم اعتقادا فيها وفى ألوهيتها .

ولكنه ظهر فى هذا الشأن أن كان للمصريين معبود غير تلك التى صنعوا لها التماثيل ونسجوا حولها الأساطير هو معبود من نوع آخر فهو إله يعيش فوق الأرض ويكلمهم ويسمعهم يرونه بينهم ويمشى ويأكل ويتزوج وينجب . كان

هذا المعبود متمثلاً فى الملك الذى يحكم. وكان هذا الاعتقاد سائداً فى الدولة القديمة حسب ما ورد فى الترجمات التى للنصوص المصريه القديمة.

كان هذا الاعتقاد فى الوهية الملك مرتبطا بالملك فإنه كان كل من يعتلى العرش يصير إلها ويصير له القدسية التى كانت لسابقه وفى هذا الاعتقاد ما يتناقض مع طبيعة العقيدة الوثنية للمصرى القديم فإن مصدر الاعتقاد الوثنى هو عدم الوجود الحقيقى للاله ويتم التعامل مع تماثيل لتجسد هذا الآله أو ذاك.

ومن خلال هذا اللاوجود الحقيقى للاله يتم نسج الاساطير والحكايات والتى تؤخذ كما هى فلا يحدث فيها جدال أو نقاش وتصير قدره الآله هى تلك التى يذيعها الكهان والذى بدورهم يتم النظر إليهم باعتبارهم الصلة بين الناس والآلهة ويكون رضاهم هو رضا الآلهة وغضبهم من غضب الآلهة.

بينما الوجود الحقيقى للاله الملك فى الاساطير والحكايات فإن الملك الآله يستطيع التعبير بنفسه عن رضاه وغضبه ويستطيع أن يعطى فيجزل العطاء ويبطش فيكون شديد البطش ووجوده يحد ويقلل من هذه الاساطير التى والمفروض أن تروى عنه فالرؤية العينية له تجعل الشعب يدرك قدراته الحقيقية ثم انه كيف للآله آلها آخر يعبده فقد كان الملك الإله يقيم المعابد للآلهه ويقدم لها القرابين فهو فى هذه الحال يكون مثل بقية الشعب وهكذا نرى انه لابد من ان تكون النظره له باعتباره ملكا وليس الهاً.

ثم أنه إذا كانت نظره عامه الشعب للملك كإله فإن هذه النظره ستقتصر عليه عما سواه بمعنى ان هذا هو الاله لا احد غيره وعند وفاته تذهب معه الوهيته ويصير الملك الذى يليه ليس إلها ولكن مجرد ملك فقط فهو كان ضمن عامة الشعب يعبد الآلهة.

والاعتقاد فى الوثنيات يكون بان يتخذ الإنسان حيوانا أو نجما أو الشمس وما إلى ذلك يتخذه آلها ويعبده ولكن فى حالة ان يكون المعبود رجلا سواء كان ملكا أو غير ذلك فإن هذا لا يكون إلا بان يقوم الرجل بفرض هذا الاعتقاد لا ان ياتى احدهم ويقول لآخر مثله انت إلهى . . . فهذا غير منطقى.

وبفرض أن أحد هؤلاء الملوك كان بهذا القدر من الجبروت والقوه فإن هذا لن يستمر في كل الذين يلوه في الحكم ولن يكون لديهم هذا الفكر والأسلوب .

وفي هذا الاعتقاد تظهر ازدواجية العقيده فإنه في سائر العقائد لم يظهر أن يتخذ الناس آلهة ذات طبائع متباينة فلا المجوس الذين عبدوا النار اتخذوا إلى جوارنارهم آلهة من طين أو حجر ولا عباد النجوم قد اتخذوا آلهة غيرها . وهذا مرجعه لأن هذه الازدواجية تخل بالاعتقاد وتضعفه لدى معتقديه .

* إخناتون

« إخناتون » أو « امنحتب الرابع » واحداً من أشهر ملوك الدولة الحديثة في تاريخ مصر القديم وترجع هذه الشهرة ليس لكونه ملكاً عظيماً أو لانتصارات عسكرية حققها أو لرخاء نعمت به البلاد في عهده بل وعلى الرغم من أن البلاد ظلت تعيش في عهده أسوأ الفترات فقد تزايدت الفتن الداخلية والخارجية على البلاد وفقدت نفوذها على أجزاء منها وانغمست البلاد في هذه الفتنة طوال عهده واستمرت حتى بعد موته فهو لم يقدم شيئا مفيدا للبلاد بل أنه أضربها ولكنه قد اكتسب هذه الشهرة كما تروى كتب التاريخ من تمرده الذى تفرد به بين ملوك مصر عبر كل مراحلها فكان تمرده هذا على العقيده فقد نبذ « أخناتون » آلهة المصريين كلها واتخذ من « أتون – قرص الشمس » . إلهًا واحداً يتعبد إليه وأقام له المعابد وقدم له القرابين دون بقية الآلهة حتى أنه تخلى عن اسمه « امنحتب » والذى يعنى « الالهه أمون راضى » واتخذ لنفسه اسم « إخناتون » ومعناه « المخلص لآتون » وهذا اغضب كهنة آمون ودخل معهم في صراع وتناحر حتى انتهى بانتصار كهنة آمون ومصرع الملك اخناتون .

* وهكذا فإن حياه إخناتون من الناحية التاريخية لم تكن ذات شأن ولعل أهم ما خلفه هو نشيده الذى كان يبتهل به إلى « آتون » وقد وجد هذا النشيد في مقبرة « أى » في تل العمارنة .

ومن هذا النشيد نستعرض بعض ما تواتر فيه عن ترجمة للدكتور / عبد المنعم أبو بكر « يا آتون الحى يابدء الحياه »

« إنك جميل » انك عظيم.

« أن أشعتك تحيط بالارض كلها ولكل شئ خلقته ».

« وتستطيع أن تجعل كل بلد أسير لك ».

« إنك الآله الذي دان الجميع بحبك ».

« والطيور فهى ترفرف تاركة أوكارها وتسبح أجنحتها بحمدك ».

« إنك تعطى الحياه للجنين فى أحشاء أمه ».

« وإنك تصنع من النطف الرجال ».

« إنك تهب نسيم الحياه لكل إنسان خلقته ».

« ما أكرم مخلوقاتك ... وما أكثر ما خفى علينا منها ».

« إنك جعلت نيلا يهبط اليهم من السماء ».

« أنت الذى صنعت الدنيا بيديك ... فأحييت حيوانها وكل من يسعى فوق أقدامه ».

« لقد خلقت السماء لتشرق فيها ».

« ذلك عندما كنت وحيداً ».

« أنت الوحيد الذى يشرف فى صورته كآتون الحى ».

« لقد خلقت من نفسك تلك الأشكال التى تعد بالملايين »

« مدنا وقرى وقبائل وجبالا وأنهارا ».

« أيها الآله الأوحد لا شبيه له ».

« ودبرت لكل إنسان ما يحتاجه ... وجعلت لكل منهم أيامه المعدودة ».

« وليس هناك من يعرفك غير ابنك نفر – خبرو – دع – وع – أن – رع – « أخناتون » ..

«الذي يحيا على الحق سيد الأرضين أخناتون – الذى يحيا إلى الأبد .

ومن خلال هذه الأجزاء من نشيد أخناتون يتضح منها حكمة بالغة تحمل بين ألفاظها معانى جميلة تنطق بالحكمه والحق ولعل هذا التشابه بين هذا النشيد وماحوته مزامير داود عليه السلام ما جعل «جيهل هنرى» يقول بأن مزامير داود قد أخذت واقتبست الكثير من هذا النشيد .

إن كان هذا التشابه لم يقتصر فقط على التوراة ومزامير داود عليه السلام فقد تشابه هذا النشيد أيضاً مع آيات كثيرة من القرآن الكريم .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[آل عمران : ٦]

﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ٤] .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر : ٦] .

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٥] .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

[الأعراف : ٨٥]

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ﴾

[النحل : ٧٩]

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة : ١] .

هذه بعض الآيات التى تتفق مع ما عرف بنشيد إخناتون ومثل هذه آيات كثيره غير ان المعنى فى آيات القرآن الكريم هو الله عز وجل والذى يقصد فى النشيد هو قرص الشمس «آتون».

وفى هذه الآيات نرى ان انبياء الله جميعهم قد توجهوا إلى الله تعالى يعبدونه وحده ويدعون إلى عبادته آلهاً واحدا لا شريك له.

وكذلك تذكر الآيات ان الله تعالى هو الخالق لكل ما فى السموات والأرض وله يسبح جميع خلقه بالحمد والشكر.

وذكر هذا فى كتاب الله او على لسان انبيائه امر طبيعى لانه هو الذى أوحى إلى الأنبياء بكل هذه الأمور الغيبة فالانسان لا يعرف انه قد خلق قبل ان يولد بمعنى انه من سلاله تبدأ من إنسان واحد خلق ولم يكن له ابا وكل ما يعلمه انه ولد من أب وهذا الأب من آخر وهكذا ولا يعلم ان كل ما حوله من حيوان وطير ونبات وحتى الأحجار والصخور تسبح بحمد الله وغير ذلك مما لا يدركه من أمر الغيب.

وجاءت عبادة التوحيد لله وحده عن طريق رسله وانبيائه لينذروا الناس ويذكروهم بربهم سواء الذين آمنوا أو الذين لم يؤمنوا لانه الله رب العالمين.

وكانت دعوه الأنبياء إلى عبادة الله تاخذ شكلا واحدا فى مجملها وهى عبادة الله وحده دون شريك له والاعتراف به ولكونه الخالق الوحيد الذي خلق كل شئ سواء نعلم أولا نعلم والإيمان باليوم الآخر «يوم البعث والحساب».

ودائماً ما كانت تصاحب الانبياء آيات ومعجزات لا يستطيع العقل أن يدركها وذلك لتكون برهاناً معهم يؤيدهم فى الدعوة.

والنظرة التى ينظر بها علماء المصريات إلى «إخناتون» باعتباره حكيما وفيلسوفا مفكراً له افكاره ومعتقداته الحكيمة وكما ذكروه نجد التعبير «أول الموحدين» ومحاولة جعله يظهر بصورة نبى يدعو إلي التوحيد فإن كان ذلك فإنها نظرة مخطئة تماماً.

فإننا نصدق القرآن الكريم حين يذكر أن الأرض والسماء وما بينهما سواء كان طيراً أو حيوانا أو جمادا أو إنسانا أو ملائكة يسجون الله فهو كلام الله الذي لامراء ولاريب فيه.

كما تصدق أنبياءه جميعاً فيما يبلغون عنه لانه تعالى اصطفاهم على العالمين وجعلهم رسله إلينا فهم لا ينسبون نسباً إلى أنفسهم فإن عيسى عليه السلام لم يقل أنه هو الذى يحى الموتى ويشفى الأبرص وموسى فهو لم يدعى وحاشاه أن يدعى انه شق البحر بذاته أو قام بتحويل عصاه إلى ثعبان يمشى بل رد الفعل لصاحب الحق تعالى جل شانه.

فكل ما ينطق به الانبياء جميعاً صدقا فطرة الله التى فطرهم عليها لا تبديل لكلمات الله.

نحن لا نرى الملائكة ولا الجن ولا نعلم ثمة شئ عن الملأ الأعلى ولكننا نصدق إبراهيم وإسماعيل ويوسف وعيسى وموسى وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين عندما يذكرون مثلا أن جبريل قد أتى أحدهم وأخبره شيئاً ما.

لكن «أخناتون» هذا وإن كان له وجود حقيقى هل كان من هؤلاء الأنبياء هل كان يأتيه الخبر من السماء ويخبره بما لا يعلم ويطلعه على ما لا يدرى.

فنحن نعلم أنبياء الله تعالى ونعلم منهجهم في الدعوة ولم نجد أياًمنهم اتخذ لله شكلا لأنه أكبر من كل شئ فلا يتقبل أن تكون له صورة ما لأنه أعلى من إدراكنا وتصوراتنا ومسألة تسبيح الطير والحيوان له لم يكن يعلمها الأنبياء من تلقاء أنفسهم ولكن بوحى من الله ونظرية الخلق التى جاءت فى نشيد اخناتون وتكراره لها على ان «أتون» هو الخالق وهو الآله الا وحد لكل شئ وهذا يتنافى مع ما ذكره الله تعالى فى كتبه أو على لسان أنبيائه فإن نظريه الخلق هذه محسومه لله تعالى ولم تظهر فى أى الديانات غير السماوية فلم يدعى أحد انه خلق شيئاً بواسطة إله يعبده سواء عبدة النجوم والكواكب أو عبدة الأصنام.. إلخ.

وكان دائماً هذا الأمر يرجع لله وحده قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ... ﴾ [الزمر: ٣٨].

وهكذا يستشهد الله تعالى بالذين لا يؤمنون به ذلك لأن مسألة الخلق هي خالصة لله تعالى ولم تدعى لغيره جل وعلا.

وقضية الوحدانية أو التوحيد التي تظهر في هذا النشيد والتي قيل أن آتون هو رب الأرض كلها وإله كل الناس سواء القاصي أو الداني هذه أيضاً لم تظهر الا في الرسالات السماوية فطبيعة مثل هذه العبادات أن يتخذوا إلها لهم يعبدونه وحدهم ولا يسترضون على غيرهم بعبادته ولا الادعاء بكونه ربا لغيرهم فنجد في آلهة الاغريق أن لكل مدينة أو قرية إلها خاصاً ومع ذلك يمكن عبادة غيره وكذلك تتناقص منزلته إذا خرج من هذه القرية أو المدينة وكذلك في بلاد الآشوريين أو العرب أو حتى المصريين فكل هذه العقائد هي عقائد خاصة بفئة معينة ذات طابع إقليمي محدود.

وهكذا نرى أن اخناتون هذا نسب ما لله إلى غيره ومع هذا ننطق كلماته ونشيده بالحكمة الإلهية وهنا نعود إلى مقولة « جيمس هزى برستيد » والتي يذكر فيها أن داوود عليه السلام اقتبس من هذا النشيد الكثير ووضعه في مزاميره وهذه المقولة مخالفة للواقع ومتنافية مع الحقيقة فإن داوود عليه السلام كان نبياً رسولا وكل ما يقوله هو من الوحي الإلهي الذي أنزله الله عليه فإنه لم يأخذ عن أحد شيئا أو اقتبس منه وإلا أصبح كاذباً محتالاً وحاشا لله أن يكون داوود عليه السلام كذلك والأمر كله من خيالات أصحاب القبعات الذين بلغوا من العلم ما جعلهم لا يدركون الفرق بين الانسان والقرد ولا الفرق بين رسالات الأنبياء ودجل المشعوذين وآتو إلينا بكل هذا العلم وصنعوا لنا هذا التاريخ وهذا ال « أخناتون » ورؤياه الفلسفية التي هي في الأصل من بنات أفكارهم وأخذنا عنهم ما قدموه دون أدنى تقص أو تيقن من صدق هذه أو تلك.

البعث والحساب :

البعث هو حياة بعد موت وهذا يعنى أنه بعد انتهاء حياة المرء ودخوله فى عالم الأموات فإن هذا الميت سوف ينشر ويرد إلى الحياة مرة أخرى .

والحساب هو العدد والإحصاء ويكون بعدما للمرء من صالح الأعمال وأيضاً سيئاتها وإحصاءها لمعرفة أن كان من الصالحين أم من الآخرين .

والبعث والحساب كعقيده هى من أهم ما ورد فى رسالات الله تعالى إلى الناس والتي لا يرتاب فيها مؤمن ولهذا الاعتقاد شروط ودلائل ممن يعتقد فيه .

وقد ذكر وقيل إن المصرى القديم كان يعتقد فى البعث والحساب وقد ظهرت هذه العقيدة فى الكثير من المدونات المصرية القديمة ومنها « متون الاهرام » و « كتاب الموتى » والذى تواترت فقراته على الجدران والتوابيت وفى تلك الفقرات والفصول ما يوضح مكانة الآله « أوزير » وما يجب على المتوفى قوله وما يحدث من محاسبة له وعن العقاب الذى سينزل به أو الثواب الذى سيناله .

ويعد الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى أهم فصوله ففيه يرد ما يستوجب على المتوفى قوله عند دخوله « قاعة الصدق » التى يتم فيها محاسبته .

(سلام عليك أيها الآله العظيم رب الصدق) لقد أتيت اليك يآلهى وجئ بى إلى هنا حتى أرى جمالك، إنى اعرف أسمك واعرف أسماء الاثنين وأربعين إلهاً الذين معك فى « قاعة الصدق » هذه وهم الذين يعيشون على الخاطئين ويلتهمون دماءهم فى ذلك اليوم الذى تمتص فيه الأخلاق أمام « وننفر » اوزير .

انظر لقد أتيت إليك، إنى أحضر العدالة إليك، وأقصى الخطيئة عنك،

إنى لم ارتكب ضد الناس أى خطيئة، إنى لم آت سوءاً فى مكان الحق،

إنى لم أعرف اية خطيئة، إنى لم ارتكب أى شئ خبيث،

وإنى لم افعل ما يمقته الإلة وإنى لم أبلغ ضد خادم شراً إلى سيده،

إنى لم اترك أحدا يتضور جوعاً ولم أتسبب فى بكاء أى إنسان،

إنى لم أرتكب القتل، ولم آمر بالقتل ، إنى لم أسبب تعسا لأى أنسان،

إنى لم أنقص طعاما فى المعبد ولم أنقص قربان الآلهة،

إنى لم اغتصب طعاما من قربان الموتى، إنى لم أرتكب الزنا ،

إنى لم أرتكب خطيئة تدنس نفسى داخل حرم إله لبلده الطاهر إنى لم اخسر مكيال الحبوب، إنى لم أنقص المقياس،

إنى لم أنقص مقياس الأرض، إنى لم أثقل وزن الموازين،

إنى لم أحول لسان كفتى الميزان، إنى لم اغتصب لبنا من فم الطفل،

إنى لم أطرد الماشية من مرعاها، إنى لم أنصب الشباك لطيور الآلهة،

إنى لم أتصيد السمك من بحيراتها، إنى لم أمنع المياه فى أوقاتها،

إنى لم أضع سدا للمياه الجارية، إنى لم أطفئ النار فى وقتها،

إنى لم استول على قطعان هبات المعبد، إنى لم أتدخل مع الإله فى دخله.

وبالرغم ما نراه فى هذا النص من تشابه بينه وبيم ما ورد من تعاليم سواء فى التوراة أو الانجيل أو القرآن فإننا سنترك هذا ونرى ما هو شرط الايمان والاعتقاد فى «البعث والحساب».

وبداية لابد من إيضاح أنه البداية كانت الإيمان بالله فإن آدم عليه السلام هو أول البشر وبالطبع هو كان من المؤمنين بالله وأن أى إعتقاد أو إعتناق لأى دين غير الدين الذي دعا إليه آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وعيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم وسائر الانبياء والمرسلين يكون هذا الأعتقاد دخيلاً مستحدث على البشرية ويكون كفراً بالله يستحق العقاب والعذاب الأليم.

ويكون هذا الكفر جحودا لله وإنكارا لوحدانيته بغية أن يهرب ويفر هذا الكافر مما ألزمه الله تعالى به ويظهر فى هذه المعتقدات عدة ظواهر تكفى إحداها ليصبح صاحبها من أهل الجهل والكفر وهى :

(١) إنكار وجود الله أو إنكار وحدانيته تعالى « الشرك » وهنا يتمرد العاصي ويظن أنه ما دام هو لا يرى الله فإن الله غير موجود ويتخذ مما تصنع يداه أصناماً آلهة أو يعبد النجوم والشمس والقمر أو يعبد شيئا من الدواب أو أنه يدعى بوجود آلهة أخرى مع الله حتى يجعل كما يظن الأمر ليس لله وحده وهناك آخرون يشاركونه فيه.

قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ [نوح: ٢٣].

قال تعالى: ﴿ **قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [الأعراف: ٧٠].

(٢) إنكار القيامة وعدم الاعتراف بيوم الحساب قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ** ﴾ [سبأ: ٧، ٨].

وهنا نجد أن الله تعالى أسماهم « الكافرون » لمجرد أنهم سخروا من النبى وانكروا يوم البعث والحساب مع أنهم يعلمون أن الله ربهم فى قولهم ﴿ **افترى على الله كذباً** ﴾ وحكم عليهم بالعذاب لعدم إيمانهم باليوم الآخر فقط.

(٣) إنكار نبوة الأنبياء والمرسلين وهذا لأنهم لا يريدون من يذكرهم بآلاء الله ربهم وليتخلصوا من الواجبات والفرائض التي يحملها المرسلون وكانوا يتعللون بأى شئ حتى لا يؤمنوا بالنبى وما يحمل من رسالة قال تعالى: ﴿ **فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ [هود: ٢٧].

(٤) نراهم أيضاً يحرمون الحلال الذى أحله الله ويحلون ما حرم الله فنرى

منهم من يحل الزنا وشرب الخمر والربا وأكل الميتة والدم وحتى أكل الانسان نفسه وما إلى ذلك.

هذه هى أهم المظاهر التى يتصف بها الذين لا يؤمنون بالله تعالى.

أما شرط الاعتقاد فى البعث والحساب فهو الإيمان بأن هناك نهاية لكل هذه الحياة لكنه هناك من سيبقى بعد هذه النهاية ليحاسب المرء وإذا كان هناك بداية فإنه الذى سيبقى بعد النهاية لابد أن يكون هو ذات من يكون قبل البداية فيكون هو «الأول» ولا شئ قبله وهو «الآخر» فلا شئ بعده وهكذا يكون هو «الحى» دائماً ولا يموت.

وإن كان هو الأول قبل كل شئ فإنه هو «الخالق» لكل شئ و «الواجد» لكل موجود بمعنى انه لم يلد شيئاً أو يزرأ عن ذاته شيئاً لأنه إن كان هناك من تولد منه أو ظهر منه فإنه سيحمل صفاته ويكون مثيلاً له ولا تكون هناك بداية أو نهاية لذا لابد أن يكون كل هذه المخلوقات والموجودات لا تتصل به فى شئ ولا تحمل من ذاته صفة أو ما شابه.

وما دام هو «الموجود» قبل كل موجود وهو «الواحد» الذى لا ثانى له فهو «القادر» على كل شئ لانه هو الذى أو جده وهو القوى» الذي لا يقدر عليه أحد وهو «العزيز» الذى لا يذله أحد.

وإن كان هناك حساب فهو «الحسيب» الذى يحاسب ولابد أن يكون «السميع» و «البصير» و «العليم» بكل ما يفعله خلقه ليحاسبهم على أفعالهم ويلزم أن يكون «الحكيم» «الرشيد» الذى يميز الأفعال الحسنة من السيئة.

فمن ذا الذى يتصف بهذا كله غير الذى فطر السماوات والأرض الله الذي لا إله الا هو الرحمن على العرش استوى.

ولأهمية الاعتقاد فى اليوم الآخر يوم البعث والحساب نجد أن الله تعالى قد أكثر من ذكر هذا اليوم والتأكيد عليه واعتبار الإيمان به هو شرط للإيمان الحقيقى

بالله تعالى وقد ذكر الله تعالى أن أكثر شئ قوبل بالرفض والإنكار من الكافرين وأكثروا الاعتراض والسخرية منه هو الإيمان بيوم القيامة وكان أيضاً برغم هذا الإنكار كان حجة للأنبياء على الذين لا يؤمنون.

ومن هذه الآيات التى ذكر الله فيها يوم القيامة والبعث والحساب والنشر:

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤]. وقوله: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ [السجده: ١٠] وأيضا قوله تعالى: ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٢] وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... ﴾ [التوبة: ١٨].

وقوله جل وعلا: ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤٤]. وقوله: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠]. وقوله: ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠]. وقوله: ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: ١٠]. وقوله: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧]. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١].

هذه بعض الآيات التى ذكر فيها اليوم الآخر يوم البعث والحساب وهناك

آلاف الآيات التى تتعرض للآخرة سواء فى أهمية الاعتقاد فيها وأيضاً مشاهد يوم القيامه وكذلك الجزاء الذى ينتظر الصالحين والعقاب الذي أعده للكافرين.

ومن خلال هذه الآيات نرى أن المؤمن الحق يكون مستيقنا فى الآخرة فلا يدخل فى قلبه شك فيها ونرى كذلك أن الله تعالى قد ذكر الإيمان بالآخرة وحده كدليل على الإيمان الكامل بالله تعالى وكذلك فإن إنكار البعث والآخرة والكفر بها هو الكفر الذى لا كفر بعده وأن الذى فى قلبه شئ من شك أوريبة فى الآخرة هو ممن اتبع الشيطان فاضله عن سواء السبيل.

وهكذا يتضح مكانة الإيمان بالآخرة والبعث والحساب عند الله تعالى فإن هذا الكم الهائل من الآيات فى القرآن والتى تتحدث عن الآخرة والبعث والحساب والحشر والنشر وكذلك التى تتحدث عن ثواب المؤمنين وعقاب المجرمين جاءت هذه الآيات للتذكرة والتعزيز والوعد والوعيد ولإبراز هذه المكانه فى الدين.

وهنا نريد أن نعرف ما هو مدى إعتقاد المصرى القديم من البعث والحساب وبالنظر إلى ما ورد فى الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى فإننا نرى أنه قد تبرأ من كل الذنوب والمعاصى ويدرأ عن نفسه القتل والزنا والسرقة والغش و . . . إلخ وأيضا يعلم أن هناك إلهاً من الآلهة يراقبه ويعد عليه أفعاله ليحاسب فى العالم الآخر أى أنه إن كان على هذه الحالة وهذا الاعتقاد فلابد أنه سيقدس هذا الاله وحده ولا يعبأ بالآخرين لأنه سيذهب فى النهاية إلى هذا الآله ويصبح هؤلاء الآلهة الآخرون غير ذوى شأن عنده فإنهم لا يملكون منه شيئاً الا فى الدنيا الفانية والحياة القصيرة والتى ستنتهى قريباً أما هذا الآله فعنده الحياة الدائمة الأبدية التى لا نهاية لها.

إذن فلماذا كفر المصرى القديم بالله تعالى ولماذا يكلف نفسه عناء اختلاف هذه القصة من الأسطورة عن الآلهة ولماذا لم يكن هذا الآله الذى يحاسبه ويأمره بكل خير ومعروف لماذا لم يكن هو الله الواحد الاحد فإنه طبقا لما ورد لا يقترف

معصية ويعلم ان بعد هذه الحياة حياة أخرى فيها الحساب والنعيم للصالح والعذاب للكافر

أى ان طبيعة الاعتقاد الوثنى للمصرى القديم تتعارض مع الإيمان بالبعث والحساب والاعتقاد فيه وان كل ما قيل عنه أنه شئ فى العقيدة ليس بالسليم والصحيح ولكى نبحث فى هذا الامر لإدراك الصواب من الخطأ فلابد من مصدر موثوق فيه لا يأتيه الباطل ابداً ولنتأمل ما قد ذكره الله تعالى فى محكم التنزيل القرآن الكريم ونرى ما ورد فيه فى شأن هذا الاعتقاد فى البعث والحساب وأول هذه الآيات ما ذكر في سورة يوسف الآيه ٣٧ قال تعالى: ﴿ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [يوسف : ٣٧] هنا يوضح لنا المولى عز وجل على لسان نبيه الصديق يوسف عليه السلام ان هؤلاء المصريين لم يكونوا ممن يعتقد فى البعث والحساب وحياة ما بعد الممات وجاء اللفظ ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ وتكرارهم فيه يدل على التاكيد.

وتاتى هذه المواضع التى توضح عدم اعتقاد المصرى القديم في البعث والحساب ما ورد في الذكر قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر:٢٧].

وهنا يجئ اللفظ الصريح على لسان موسى عليه السلام ينكر انهم يؤمنون بالآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [غافر:٣٢].

وقوله: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر:٣٩]

والقول الآخير جاء على لسان الذي آمن من آل فرعون إذ أخذ يحثهم على الإيمان بالله وأن يتركوا الرسول «موسى» عليه السلام يدعو لدينه وأن يطيعوا الله فكان يذكرهم بهذا البعث وذاك الحساب وجاءت الآيات لتوضح أنهم لم يؤمنوا ويصدقوا ما ذكرهم به.

قال تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

وهنا شهادة من الله تعالى صريحة تنكر هذا الاعتقاد فيهم وأنهم لم يكونوا يعتقدون فى الآخرة جاءت الشهادة في سورة الدخان فى الآيات ٣٤، ٣٥.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ [الدخان: ٣٤، ٣٥]. هكذا نرى أن كل ما ورد فى القرآن الكريم فى شأن الاعتقاد والعقيدة لدى المصرى القديم كان لا علاقة له بالمرة فى البعث والحساب وأنهم كسائر الذين ضلوا يعتقدون فى أن هذه الحياة هى حياتهم الأولى والآخيرة ولا بعث ولا نشر ولا حساب وفي حين أن التاريخ لم يذكر فى شأن العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم فى وجود الله تعالى وأنهم لديهم بقية من علم قديم بالذى فطر السماوات والأرض نجد في القرآن ما يدل على علمهم القديم وشئ من ذكر قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١].

وهذه الآية مما ذكر المولى عن قصة يوسف عليه السلام وحادثة أمرأه العزيز معه وهؤلاء النسوة اللاتى قطعن أيديهن هن من نساء مصر وفى قوله ﴿ حاش لله ﴾ على لسانهن ما يؤكد أنهن لديهن علم سابق بالله تعالى مع كونهن لسن من المؤمنات حقا بالله أى أن حالهن وحال جميع المصريين مثل حال أهل جزيرة العرب يعلمون يوجود الله تعالى ويشركون معه آلهة أخرى وثنية ولم يكن الإيمان خالصاً فى قلوبهم ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

[يوسف: ٣٣]

وهنا نرى أن الغواية لم تكن من امرأة العزيز وحدها ولكن انضم إليها

أولئك النسوة وأردن غـوايتـه أيضـاً وفى هذا نرى أن الإيمان الحقـيـقى لم يكن لديهن ولكنه لم يرد عن علم قديم بوجود الله .

وهذا العلم لم يكن إلا مما تبقى من خبـر الصالحين والأنبياء السابقين ولم ينقل هذا العلم عن المصريين فهنا نرى أنه فى وقت كان يوسف عليه السلام فى مصر كان موجودا وبعده استمر هذا العلم حتى موسى عليه السلام ثم أنه أستمر حتى مجئ عيسى المسيح عليه السلام وانتشار النصرانية بها ومنها انطلقت إلى سائر شعوب الأرض وبعد النصرانية دخل الإسلام إلى مصر وصار هذا العلم القديم عقيدة وإسلامًا حقيقيا لله .

وحقيقة الإيمان بالبعث والحساب أنه رأس الغيب ولا يؤمن ويعتقد فيه إلا المؤمن الحقيقي بالله ولا سبيل إلى الإيمان به سواء عن طريق الاستدلال المنطقى أو التامل الفلسفى أو غير ذلك ومن أساليب الفكر الانسانى فلا دليل إليه مما نعرف من شئون الحياة وما كانت الأمثلة التى ضربها الله فى القرآن إلا ليبين لنا مقدرته ولتكن لنا آيات ونذر أما البعث والحساب فهو عند الله تعالى حق عن صدق وأحس به هو المؤمن ومن كفر به كان من الضالين .

هنا يتوقف القلم ليستريح من عناء البحث فى عملية النصب هذه بعد ما رأينا أن كل ما حصلنا نحن عليه من هذه الحضارة المزعومة مجرد قصص وحكايات لا سبيل لمعرفة مدى الصدق فيها دون معرفة شئ حقيقى عن حياة مصر فى هذه الفترة .

ووجدنا أن الأمر كله محل شك فى اغلبه وما تبقى لا أساس له من الصحة فإن الأمر من أول فهم ومعرفة لغة المصرى القديم إلى ما أشيع بصفته حضارة مصر مجرد أوهام من خيالات أصحابها .

وغياب كل ما نعلم أنه حقيقى من هذه الحضارة عن التاريخ والحضارة المزعومة محل شك وريبة فى كل ما قدم بصفة تاريخ مصر .

واختلاف ما ورد من أخبار فى هذه الحضارة وهذا التاريخ عن الذى ذكر فى القرآن الكريم ليس مجالاً للشك فى كذبه وعدم صحته .

وللحديث بقية . . . .

الفهـــــرس

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٢٦٣٢